9me Année No. 409

Lundi - 5 - 5 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٠٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٦٠ — الموافق ٥ مايو سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

وتقديم الساعة مرة أخرى

للأستاذ عباس محمود العقاد

يقول الراوى : سمعت فيما سمعت من فكاهات الناس أن غريباً نزل ببلد من البلدان يتفرج بالسياحة ويحتال للرزق ، فلم ينفرج ضيقه ، ولم يتسع فى طلب الرزق طريقه ؛ فخرج يوماً إلى مدافن البلد يتعظ ويستعبر ، ومال على القبور يقرأ ما كتب عليها ، فأذهله ما قرأ وعى بتفسيره وتأويله

هنا قبر كتبوا عليه أنه قبر الوزير العظيم فلان : حكم وعدل وأصلح وبلغ من العمر عشرة أيام

وهنا قبر كتبوا عليه أنه للقاضى الجليل فلان : كانت له أحكام يؤتم بها فى مجالس القضاء ، وأثرت عنه مؤلفات يتداولها الطلاب والأدباء ، ومات ولم يجاوز من العمر أسبوعين

وهناك قبر لطبيب ، وإلى جانبه قبر لأديب ، ووراءهما قبر لسرى حسيب ، وعلى مقربة منه قبر لناشئ نجيب ، وما منهم معمَّر ولا مقتضَر يجاوز الساعات والأيام، إلى الشهور والأعوام، ولا منهم إلا من تذكر له المآثر ويرتفع به المقام

فاستغرب الغريب ، وسعى إلى الحارس يسأله فى سر هذا الكلام المريب : ما خطبكم يا هذا؟ ... أحياؤكم فى المدينة يشيبون ويعمرون ، وأمواتكم فى المقابر لا تمتد لهم شهور

الفهـــــرس

صفحة		
٦٠٥	وتقديم الساعة مرة أخرى	الأستاذ عباس محمود العقاد
٦٠٨	صورة . . . وصورة . . .	الأستاذ محمد محمد المدنى ...
٦١٠	عندما حيرها الصمت! [قصيدة]	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٦١١	ديوان الحبوبى	الدكتور زكى مبارك ... ...
٦١٤	اللهجات العامية الحديثة ...	الدكتور على عبد الواحد وافى
٦١٨	هل لليهود فن ؟	الدكتور أحمد موسى ... ...
٦٢٢	ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب	الأب أنستاس ماري الكرملى
٦٢٥	من جوف الليل	الأستاذ شكرى فيصل ...
٦٢٧	المرحوم محمد مسعود بك [قصيدة]	الأستاذ خليل مطران بك ...
	غريب ... ... »	الأديب محمد قطب ... ...
٦٢٨	فقر الأنبياء — العصاميون	الدكتور زكى مبارك .. ...
٦٢٩	— الحب والبغض	
	إلى الباحث الجليل (***)	الأستاذ الكبير (ا . ع) ...
	وفاة الأستاذ محمود مصطفى	. ...
٦٣٠	تأبين المرحوم محمد مسعود بك	. ...
	حول بشر بن عوانة ...	. ...
	اكتشاف جديد لاطالة عمر الانسان	. ...
	حول وأد البنات عند العرب فى الجاهلية	الدكتور على عبد الواحد وافي
٦٣١	فى اللغة	الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٦٣٢	مجالس الفورى [كتاب]	الأستاذ محمد لطفى جمعة ..

ولا سنون . فهل يجاء بالأموات من بلد غير هذا البلد ، أو تعدون العمر عندكم بغير ما ألف الناس من عدد ؟

قال الحارس : بل هي مدافن القوم ، وهي أعمار أبناء آدم ، ولكنهم يسقطون منها ما لا يسر ولا يؤثر ، ويثبتون منها ما قضى في سرور وعمل مشكور . فمن ثم تنحسر السنوات بعد السنوات ، فلا يبقى غير لحظات ولمحات ، وهي التي تراها ، وتحار في معناها !

قال الغريب : إن كان هذا فوصيتي لك أن تكتب على قبري حين يتوفاني الله في بلدكم : من بطن أمه إلى القبر !

***

ويقول الراوي مرة أخرى : ثم أدركتني سِـنة من النوم وأنا أعيد حكاية هذا الغريب اليائس وأسأل نفسي : كم من الناس يحق له أن يزيد على ما أوصى ؟ وكم من الأعمار يبلغ الساعات على هذا الحساب ؟

وإني لكذلك إذ ارتفع بصري إلى دائرة هائلة الأقطار كأنها صفحة الساعة التي نقيس بها الزمن ، لولا أنها شيء لا يدرك له آخر ولا تظهر لعقربيه حركة ، ولولا أن العقربين لا ينثنيان ولا يزالان ذاهبين إلى وجهة يخيل إليك أنها حافة وما هي بحافة ، ولكنها أشبه شيء بخط الأفق المخلوق من وهم الناظر إليه

الأبد كله يقاس بهذه الصفحة ! ! أو هي الساعة السرمدية التي ترصد بها حركات الأكوان ، إن صح أن تسمى هذه ساعة وهي تشمل كل حين !

يقول الراوي : وألمح على الصفحة علامات مختلفة الشيات ، لا أهم بأن استوضحها حتى يتضح لي جواب ما هممت بالسؤال عنه كأنه خطرة من خطرات الضمير لا أسمعها ولا أرى قائلها . . . هذه علامات السعود والنحوس ، وهذه مفاتيح الإسراع والإبطاء ، وهذه لوالب الأفلاك ومنها فلك الأرض الصغير ، وهذه وهذه إلى آخر ما في الصفحة السرمدية من مجهول ومعلوم

وتتحرك يدي إلى مفتاح من المفاتيح ، ويهجس في ضميري المجيب الذي لا أسمعه ولا أراه : مكانك ! إلى أين ؟

قلت : إلى المفتاح الذي يعبر أوقات النحوس في لمحة عين

قال : ويحك . وما أنت وعلم هذا ؟ وأي نحوس تريد ؟ نحوسك أنت ، أو نحوس العالم أجمع ، أو نحوس فريق من الناس دون فريق ؟ هذه أسرار لا تهديك فيها الملامة ولا يطيعك فيها المفتاح . وإنما قصاراك أن تنظر في الساعة التي تخص حياتك إن اهتديت إليها . فهنالك ترى من ساعاتك وأيامك ما يقتضب أو يستطال ، على شروط يدلك عليها الدليل الموكل بتلك الآجال

قلت : وأين أجد هذه الساعة أصلحك الله ؟

قال : في خلف هذه الصفحة ... فهنا صفحة الكون الخالد وهناك صفحات الأحياء من أبناء الفناء

واستدرنا أو خيـل إلينا أننا نستدير فإذا الدوائر أمامنا متشابكات متداخلات لا يحدها الطرف ولا يحصيها الحساب ، وإذا بالمجيب الذي لا أراه ولا أسمعه يشير إلى إحداهن ويقرئني عليها اسمي وعلامات السعد والنحس في عمري ، ويقول لي : دونك ساعاتك فاصنع بها ما أنت صانع . فهي إن عمرت أو خربت لك أو عليك فلما يضارُّ من جرّائها أحد سواك

ثم يعود صاحبنا فيقول : واعلم أنك لا تأخذ السعادة ولا تتق الشقاوة في هذا المكان ، فإنما هو للحصر والتسجيل ثم تحال إلى الخزانة التي فيها ما تشتهيه وتتقيه ، فعلى حسب ما في يدك من سجل أوقاتك وسعاداتك وشقاواتك يكون التسليم من يد الخازن الموكل بهذه الأمور

ودارت المفاتيح ، وذهبت إلى الخازن ، وأريته السجل والتعداد ، وانتظرت ما يقول ، فإذا هو يراجعني مراجعة البائع المتحرج الذي تأبى له ذمته أن يستر بخساً أو يبالغ في مزية ، ولا يثنيه عن ذلك غضب ولا استعجال

قال : هذه سويعات بل لحظات لك في سجل السعادة ، أفأنت نازل عن عمرك كله من أجل هذه اللحظات ؟

قلت : أوليست هي سعادة خالصة ؟

قال : بلى ، ولكني مأمور بأن أبصرك بالحقيقة قبل أن آخذ منك أو أعطيك

فهذه اللمحات لا يدخل فيها الوقت الذي تشتاق فيه إلى السعادة ، ولا الوقت الذي تحن فيه إلى ذكراها ، ولا الوقت الذي تعرف فيه قدرها بفقدانها والشعور بالفارق بينها وبين نقيضها .

وهذه اللمحات تتصل بسعادات أناس آخرين لولاهم لما ظفرت بحصتك التي كتبت بعنوانك، فإما أن تتسلموها جميعاً أو تتركوها جميعاً ولا انفراد لك بالرأي فيما تختار

وهذه اللمحات إنما هي كالري للظامئ فلا إرواء لها إلا بعد إظماء، ولا محل للايجاز في أوقات الشقاء إلا أن تصاب لمحات السعادة بمثل هذا الإيجاز

قلت: إني أغليت الثمن وبذلت عمراً كاملاً في سبيل هذه اللمحات القصار

قال: إنك لم تبذل شيئاً بل استرحت مما أنت باذل من شقاء، ولهذه الراحة ثمنها، فمن عسى أن يبذل الثمن غير المستفيد؟

قلت: إننا في عالم الدنيا نشترى الحلو والحامض ونلق بالحامض جانباً إذا كرهناه، وغاية ما يسومنا البائع أن يبيعنا الفاكهة المنتقاة بأغلى من سعر الفاكهة التي ليس فيها انتقاء. فلم لا تتبعون في بيعكم وشرائكم ما نتبعه فيما بيننا من بيع وشراء؟

قال: ذلك لأن حلاوة الحلو عندنا من حموضة الحامض، فليس بينهما انفصال!

وسألته: وما النتيجة؟

فأجابني: والنتيجة أننا ننقصك من السعادة بمقدار ماننقصك من الشقاء، وليس الأمر كما ظننت زيادة على هذه يقابلها نقصان من ذاك

* * *

يقول الراوي: فتدبرت كلام الخازن الناصح فوجدته على صواب، وتبين لي أن الصفقة لا تنعقد إذا هي انعقدت إلا على ما اشترط ووفق ما رسم. فهذه الساعة التي نعمت بها لأني قضيتها مع من أحب، كيف أنتزعها وحدي وأعزل حسابها من حساب عمره؟ وهذه الواحة التي ابتهجت بها لأني عبرت إليها الصحراء كيف أبتهج بها ولا أبتئس بصحرائها؟ وهذه المرارة في كأس الفتنة، كيف أتركها ولا أترك معها نشوتها وأحلامها؟ وهذه الخلاصة كيف أستخلصها ولا أتعب في استخلاصها

أيها الخازن الناصح: شكراً لك، فقد نصحت وأبلغت، فهل يضيع تعبي في تقديم الساعة بغير جزاء؟

أيها الباحث عما ليس يوجد: هذا هو الجزاء، وهكذا يتعب من يختصر العمر ليختصر الشقاء!

* * *

وبعد فقد كتبت في السنة الماضية عن تقديم الزمن وتأخير الزمن، فحق لهذه السنة أن نحفل بتقديم ساعاتها وإن كنا لا نقدم ولا نؤخر بهذا الاحتفال

وأراني عشت عشرين سنة ولم أتبين جديداً يقال منذ قلت:

تبغي السعادة لا سعادة مثلها والعدم قسمة طالب الإكسير

ومنذ تبين لي أن الفقر نصيب من يطلب الإكسير الذي يعطي المعادن الخسيسة قيمة الذهب الإبريز، وأن الشقاء نصيب من يطلب الإكسير الذي تتساوى به معادن الأيام فكلها نفيس وكلها محمود وكلها سعيد؛ فلا ذاك يبلغ الغنى ويسلم من الفقر، ولا هذا يبلغ السعادة ويسلم من الشقاء، وحسبنا نصيب أهل الفناء فهم في آخر الأمر تراب، وكل ما أصابوه أنفس من التراب

عباس محمود العقاد

صورة ... وصورة ...

للأستاذ محمد محمد المدنى

هذه كلمة من نوع ما كنت أكتب عن الأزهر من قبل ، جاشت النفس بها ثم احتبستها ، ولكن كلة الأستاذ الزيات : « هل انبعث الأزهر » قد أثارت كامن الشوق القديم :

وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا !

الصورتان متقابلتان كأتم ما يكون من التقابل ، متنافرتان كأعنف ما يتصور من التنافر ، وهما مع ذلك مجتمعتان فى مكان واحد ، وبينهما صلة جوار قريب ورابطة قوية يبدو أنه لا سبيل إلى التخلص منها قبل زمن بعيد !

ليس الموضوع خيالاً يا عشاق الخيال ، وإنما هو الواقع الذى لم تفسده التصاوير ، والحقيقة المبرأة من المبالغة والتهويل !

الصورتان فى الأزهر ، والأزهر يحتفظ بهما معاً ، ويصانعهما معاً ، ويود لو بقى الناس غافلين عنهما ، منصرفين عن النظر إليهما

الصورة الأولى

صورة باسمة مشرقة متميزة الملامح والقسمات ، يشع منها نور الإيمان ، وتبدو على محياها سمات العقل والتفكير : لمن هذه الصورة ؟ ؟ إنها صورة أزهرى صحيح الفكر ، رشيد العقل ، واسع الأفق ، لا يضيق صدراً بما يأخذ به الناس من أسباب حياتهم ، وألوان ثقافتهم ، وطريقة تفكيرهم ما دام ذلك فى حدود العقل الصحيح والعلم الصحيح !

يشعر بأن الأزهر فى عهده الحديث مطالب بأن يفهم ما حوله فهماً صحيحاً ، لأن هذا الفهم ضرورى له ، وضرورى للدين الذى يحمل لواءه ، وضرورى للأمة التى تجعله منها فى مكان القيادة !

فهو ضرورى له ، لأنه إذا لم يفهم ما حوله فهماً صحيحاً ، ظل يخبط فى ظلمات ، ويضرب فى مجاهل ، فتكون النتيجة — ويا للهول ! — أن يفقد اعتباره أمام الأمة ، وأن يكره بعد حين قريب أو بعيد ، على التخلى عن مركزه التاريخى العظيم فيها !

وهو ضرورى للدين ، لأن الدين عدو الجهالة والجمود ، ولو كان الإسلام يرضى بالجهل أو يسكت عنه ، أو يحب الجمود أو يصبر عليه ، لما عاش هذا العمر المبارك الممتد إلى آخر الزمان إن شاء الله ، بل لما وصل إلينا اليوم إلا طميناً جريحاً ، أو هرماً عملت الليالى والأيام فيه ، ولكنه وصل إلينا شاباً تجرى فى شرايينه دماء الحياة نقية متدفقة ، وصل إلينا قوياً غلاباً مر بحضارات وحضارات فلم يضق بشىء منها صدراً ولم يقف أمام واحدة منها حائراً متردداً ، ولا مأخوذاً مشدوهاً ؛ وصل إلينا سليماً منتصراً ، قد تكسرت من حوله النصال ، وتحطمت السهام ؛ ذلك بأنه دين الفطرة والعقل والعلم والإصلاح !

وهذا الفهم الصحيح ضرورى للأمة نفسها ، لأن الأمة تنشد لأبنائها ثقافة قومية إسلامية خالصة ، ولا ترضى بأن تفنى فى غيرها ، أو تؤخذ بثقافة غريبة عنها عاجزة عن أن تمدها بوسائل الحياة التى تصلح لها ، قاصرة عن أن تثير فى نفسها شعور العزة والكرامة والتطلع إلى تاريخها ومفاخرها . تنشد الأمة لأبنائها هذه الثقافة وتتجه إلى الأزهر طالبة منه أن يمدها بها ، لأن الأزهر قد زامل تاريخها الذى به تعتز ، ولأنه هو الذى حفظ لها هذه الكنوز فى الدين والفقه واللغة والأدب ، ولأن الأزهر هو مدرسة الشعب العليا التى تجمع ابن الفلاح وابن الصانع وابن التاجر من سواد الأمة الذين يفهمون حاجاتها ، ويدركون ما تصلح به شئونها !

فإذا ما تخلف الأزهر عن تلبية هذه الرغبة ، ولم يقابل ثقة الأمة به ، وتعويلها عليه ، بالنشاط والعمل والتقدم نحو الكمال ، ولم ينتفع بهذا المركز الفريد الذى ميزه به تاريخه وعلومه وطبيعة رسالته — أذاق الأمة لباس الحرمان والفجيعة ، ودفعها إلى أعداء الإسلام كرهاً من حيث لا يحتسب

تقول الأمة الإسلامية للأزهر : إن من أعز آمالى أن أحمل عليك عبء تزويدى بما أحتاج إليه من قانون وتشريع ، وفقه وقضاء ، وأن أحمل برأيك الناضج فى جميع نواحى الحياة :

في الاجتماع ، في الاقتصاد ، في السياسة ، في العلم ، في الأدب ، ولكن ينبغي أن يكون منك تقدم وخطوات عملية في جميع هذه النواحي ، تشعرني بأنك عرفتها ودرستها عن خبرة وفهم وتحقيق ومقارنة ، ولا أكتفي منك بهذه الدراسات اللفظية الأثرية ، ولا بهذه الأفكار التقليدية التي لو كان أصحابها الآن بيننا لتخلوا عن كثير منها

لقد كان الفقيه المجتهد يغير رأيه في المسألة الواحدة مراراً ، لاطلاعه على ما لم يكن قد اطلع عليه ، أو لانكشاف حالة لم تكن قد انكشفت له ، أو لمناقشة عالم أقنعته بما لم يكن مقتنعاً به ؛ وقد مر على هؤلاء الرجال المفكرين قرون وقرون ، وحدثت أحداث ، وجدّت نظم ، وتغيرت دول ، وانكشف للناس من أسرار الله في الحياة ما لم يكن قد انكشف ، وظهرت مشكلات ومسائل وقضايا من طراز جديد ، فكيف يلتوى عنق الأمة إلى الماضي من غير نظر إلى الحاضر ، وكيف نقف والفلك المحرك دائر ؟

في البلد شركات مالية تقوم على أساس من الاقتصاد خاص ، وفي البلد مصارف أصبحت جزءاً مقوماً من نظام المال في الدنيا ، وفي البلد ألوان من النظم والمعاملات لم تكن معروفة فيما مضى ؛ فهل درستم نظام هذه الشركات والمصارف ؟ وهل تفهمتم أصول هذه المعاملات والنظم ؟ وهل تبينتم من ذلك كله ما يتفق مع التشريع الصحيح وما لا يتفق ؟

في البلد مشكلات اجتماعية ، وعلل تحتاج إلى الإصلاح ، فهل فكرتم في أن تجدوا حلاً لهذه المشكلات ودواء لهذه العلل ، ثم عرضتم ذلك عرضاً منظماً جاداً حازماً على ولاة الأمور ، وأقنعتموهم بالصلاح فيما تعرضون ؟

إن أحداً من الناس لا يستطيع أن يقول : إن التشريع الإسلامي ليس كفيلاً بإسعاد المجتمع ، وإنهاض الأمة؛ ولو قال ذلك أحد من الناس لكان ممعناً في الخطأ ، جاهلاً بالحقائق ، أو عدواً للاسلام جاحداً بفضله

ولكن قبل أن تنادوا بذلك ، تحللوا أنتم أولاً من هذه القيود التي أثقلتكم . تحللوا من هذه الدراسات اللفظية الأثرية التي شغلتكم . ربّوا أنفسكم وكرموا وجه العلم من أن تخلوا على كل رأي قديم ، مهما كان أمره ، هذه القدسية التي لا يعرفها الإسلام إلا لله ورسوله !

إن هؤلاء الذين سبقوكم قد قاموا بما يجب عليهم ، وأدوا إلى الله أمانتهم ، ولبوا حاجات عصورهم ، وكانوا يصدرون فيما يرون أو يقولون عن نظر وتأمل واقتناع ، فمن البر بهم أن تسيروا على سنتهم ، وأن تهتدوا بهديهم : فتلبوا حاجات عصركم — في حدود الشريعة — كما لبوا حاجات عصرهم ، وتصدروا عن فهم ووزن صحيح لحاجات أمتكم ، كما أصدروا عن مثل ذلك

ذلك هو النداء الروحي الذي يشعر الأزهري الناضج بأن الأمة تنادي به الأزهر ؛ وذلك هو الصوت المدوى الذي ينادي به الدين أبناء الدين ؛ وذلك هو الروح الكريم الذي يوحي به الإخلاص للأزهر ورسالة الأزهر ؟

***

هذه إحدى الصورتين المتقابلتين في الأزهر !

الصورة الثانية

أما الصورة الثانية فيالله ! كيف أصورها ؟ إنها صورة مظلمة قاتمة تنبو عنها العين ، وينقبض لمرآها الصدر : شيخ يعيش في عصر النور والعلم ويأبى إلا أن يكون بروحه وعقله في عصر الجهالة والتعصب والغموض والإبهام

تقول له : قال الله ، فيقول لك : قال فلان في شرح كذا أو حاشية كذا . وتقول له : تأمل هداية الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، واعتبر بتطبيقه لآيات الله ، وفهمه وفقهه في أحكام التشريع . فيقول لك : هذه مهمة المجتهدين وقد انقضى عهدهم ، وأصبح الزمان لا يجود بمثلهم . أما أنا فمقلد وسأبقى مقلداً ، لأن فلاناً يقول في منظومته :

« وواجب تقليد حبر منهمُ ... »

وهكذا يجعل التقليد واجباً له مرتبة العقيدة !

وتقول له : أنظر ماذا كان يفعل الأصحاب الأولون ، وكيف كانوا يفهمون العقائد والأحكام كما نزلت في كتاب الله ، لم تشبها الشوائب ، ولم تفسدها المذاهب الباطلة ، ولم تؤثر فيها النحل الغريبة ؛ فيخالطه الشك في أمرك ، ويجري لسانه بألفاظ

يرددها ولا يفهم لها معنى : أهل السنة ، المعتزلة ، الباطنية ، الإجماع ، الإلحاد ، الزندقة ، إنكار الحقائق الشرعية ... إلى غير ذلك . ولو سألته ماذا يقصد بهذه الألفاظ ؟ ومتى حدثت فى تاريخ الإسلام ؟ ومتى جعلت معايير للكفر والإيمان لما وجدت جواباً !

وآفة الآفات فى ذلك كله افتراض الثقة المطلقة فى نظريات بعينها وأشخاص بخصوصهم ، مع الشك المطلق أو الرفض المطلق لنظريات أخرى وأشخاص آخرين ؛ ومثل هذه الطريقة لا يعرفها الإسلام ولا يرضاها لأهله ، ويأباها القرآن الكريم الذى عظم شأن البرهان ، ونعى على الذين يجمدون بدون تفكير على تقليد الآباء

***

هاتان هما الصورتان المتقابلتان فى الأزهر . وقد أبدع الأستاذ الكبير صاحب الرسالة فى تصويرهما إذ يقول فى العدد الماضى من الرسالة :

١ — « هؤلاء هم شباب الأزهر الجديد أساتذة وطلاباً ، قد جلت نفوسهم ثقافة العصر ، وصقلتها مدنية الحاضر ، فأشرقت عليها أشعة النبوة ساطعة بعد ما حجبها الغمام والقتام حقباً بعد حقب . فهم وحدهم الذين يدركون مسافة البعد بين روح الأزهر وحياة الناس ، وهم وحدهم الذين يملكون تزييف الأباطيل المقدسة التى اتسمت بسمة الحق ، وتسمّت باسم الدين »

٢ — « ولكنهم حول هذا الهيكل البالى أشبه بالأغصان الحلفة التى تنبت نضيرة على أصل الدوحة العتيقة ، ثم لا يتسنى لها النماء والسموق لأن الجذور الشيخة لا تمدها بالغذاء كله ، والفروع الميتة لا تمكنها من الهواء كله . فإذا لم يرسل الله رسول الإصلاح ويؤته ما آتى أولى العزم من الرسل ، فيقطع من أعالى هذه الدوحة ما اعوج ، ويجتث من أسافلها ما ذبل ، ويكشف عن جذعها الواهن ما التف عليه من طفيلى النبت ، بنى الجفاف على هذه الأفنان النواشئ فتذوى فى زهرة العمر وبكرة الربيع »

فتى يرسل الله هذا الرسول ، يا فضيلة الأستاذ الأكبر ؟

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

عند ما حيرها الصمت !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

قَالَتْ : أَرَاكَ كَأَنَّمَا انْـــفَجَرَتْ حَيَاتُكَ مِنْ شِهَابْ
وَتَدَفَّقَتْ بِكَ مَوْجَــةٌ سَوْدَاءُ مِنْ حُلُمِ الضَّبَابْ
فَكَأَنَّ عُمْرَكَ فِى يَدِ الأَ (م) قْدَارِ إِعْصَــارٌ مُذَابْ
وَكَأَنَّ رُوحَكَ كَوْكَبٌ مُتَمَرِّدٌ فَوْقَ السَّحَابْ
لَا النَّجْمُ يَعْرِفُهُ ، وَلَا يَدْرِى مَنَابِعَهُ التُّرَابْ ...
أَفْصِحْ عَنِ السِّرِّ الدَّفِينْ
يَأَيُّهَا الْقَلِقُ الْحَــزِينْ !!

إِنِّى أَرَاكَ كَعَــابِدٍ نَشْوَانَ يَحْضُنُهُ الْإِلَهْ
سَكَبَتْكَ رَاحَاتُ الْغُيُو بِ رَحِيقَ خَمْرٍ فِى صَلَاهْ !
وَكَشَاعِرٍ ذُبِحَتْ عَلَى قِيثَارِهِ الدَّامِى رُؤَاهْ !
نَفَضَتْكَ أَجْنِحَةُ السُّكو نِ ظِلَالَ مَوْتٍ فِى حَيَاهْ !
أَشْعَلْتَ فِى قَلْبِى الْهَوَى وَتَرَكْتَنِى فِى النَّارِ ! آهْ ...
... لَوْ كُنْتَ تُفْصِحُ أَوْ تُبِينْ !
أَهَوًى أَذَابَكَ أَمْ جُنُونْ ؟ !

قُلْتُ : اضْحَكِى بِهَوَاكِ حَوْ لِىَ يَا حَبِيبَةُ وَاعْصِفِى بِى !
أَنَا عَاشِقٌ قَذَفَتْ بِهِ بَلْوَاهُ فِى عَدَمٍ رَهِيبِ
أَنَا قِصَّــةٌ بَكْمَاءُ تَرْ وِى سِحْرَهَا شَفَةُ الْغُيُوبِ
أَنَا جَدْوَلٌ تَجْرِى بِهِ الأَ (م) حْزَانُ فِى وَادٍ غَرِيبِ
مَلَّتْ جِرَاحُ الْحُبِّ صَمْــتِى فَارْتَمَيْتُ عَلَى اللَّهِيبِ
رُحْمَاكِ بِى ... وَدَعِى الْحَنِينْ
يُلْقِى سُــؤَالَكِ لِلسِّنِينْ
وَغَــدًا ... تَرَيْنَ وَتَعْرِفِينْ !

(مراقبة الثقافة العامة) محمود حسن اسماعيل

في الأدب العراقي

ديوان الحبوبي

للدكتور زكي مبارك

حق الأدب على الأديب — خطبة لبسون وخطبة تشرشل — انتقام الغزالي — الحبوبي بين الشعر والتدريس — لمحات من شاعرية الحبوبي — مراجع — شهيد الدفاع — الشاعر المصري المجهول أحمد زناتي

حق الأدب على الأديب

بعد أن فرغتُ من مقالي عن « الصحافة العراقية » وقدمته لمطبعة الرسالة جاءت الأخبار بانقلاب جديد في العراق ، وهي أخبار آذتني أشد الإيذاء ، لأني أتمنى في كل وقت أن يعيش العراق في هدوء واطمئنان ليفرُغ لتحقيق ما يسمو إليه من التفوق في ميادين العلم والأدب والاقتصاد

وكان من أثر ذلك الانقلاب وأثر اشتداد الأزمة الدولية أن أسكت عن حديث الأدب إلى أن تنكشف الغُمّة هنا وهناك فنجد ويجدون مساغاً للكلام عن الأدب والبيان

ولكني رجعت فنظرت في حق الأدب على الأديب ، ومن حق الأدب الذي نتشرف بخدمته أن نجمل القيام بتقييد أوابده فرضاً من أوجب الفروض فلا نسكت عنه ولو آذنت أشراط القيامة بسقوط السماء على الأرض ، والله الحفيظ من مكاره هذه الأيام ... !

فمن طاب له أن يعجب من اشتغالنا بالأدب في أوقات لا يُشغل فيها الناس بغير أخبار الحروب فليعرف أن للأدب ميداناً لا يقلّ خطراً عن ميدان القتال ، وقد شاءت المقادير أن نكون جنوداً في الميدان الأدبي ، فمن واجبنا أن نقف صادقين في ذلك الميدان ، وأن نتناسى ما سواه من الميادين ، وإن كان تناسي ما يهدد مصر والشرق من المستحيلات

ولو شئت لقلت إن روح الغزالي ينتقم مني . ففي كتاب « الأخلاق عند الغزالي » تنديدٌ بالرجل الذي غرق في خلوته وانقطع لأوراده ، والدنيا من حوله تضج بغارة الإفرنج على بيت المقدس ، وتذكّره بالواجب في الدعوة إلى الجهاد

الآن عرفتُ أن العلماء والأدباء لا يصورون عصورهم أصدق التصوير من النواحي السياسية ، وإنما يصورونها من النواحي العقلية والروحية ، فأنا لا ألتفت التفاتاً جدّيًّا إلى أخبار الحرب ولا يهمني أن أدوّن ملاحظاتي على ما أقرأ من أقوال الزعماء ، وإنما أوجه جهودي إلى متابعة الحياة الأدبية والفلسفية عساني أصل إلى أشياء يستنير بها روحي وعقلي

أليس من العجب أن تستهويني خطبة السير لبسون عن القديس جورج أكثر مما استهوتني خطبة المستر تشرشل عن مراحل الحرب في لوبيا والبلقان ، مع أن الظروف توجب أن يكون اهتمامي بالخطبة الأولى أقل من اهتمامي بالخطبة الثانية ؟

كان في خطبة لبسون فكرة فلسفية آذنتني بأنه يسايرنا في آفاق الأرواح والعقول ؛ أما خطبة تشرشل فتسير في طريق لست منه وليس مني ، لأني بعيد كل البعد عن آفاق السياسة والحرب ، ومن الخير ألا يعي خطبة تشرشل غير من يشتركون في توجيه دفة السياسة والاستعداد لدفع أخطار الحرب ، فهم المسئولون عن وعي الدقائق من هذه الشؤون

وليس معنى هذا أني أفاضل بين ميدان وميدان ، فجميع الميادين أمام الواجب سواء ، وإنما أقول بأن الاشتغال بالأدب الصِّرف لا يعدّ انسحاباً من المعترك السياسي ، ولا هرباً من الإصاخة لدعوة الواجب عند احتدام الخطوب ، فقد أعدّنا الوطن لفروض لا تقل أهمية عن السياسة والحرب ، وهو لن يطالبنا بغير الوفاء لتلك الفروض ، وسيرى كيف نكون عند ظنه الجميل إن أشار بإغماد الأقلام وإشهار السيوف ، فلنا سواعد وعزائم وقلوب ، ولن تضام مصر وهي موصولة الفتوّة برجال أقوياء يعدّون بالألوف وألوف الألوف

أما بعد ، فإن الأخبار السود التي أطالعها في الصباح والمساء لن تصدّني عن الواجب الذي أعدني له وطني ، وهو خدمة الأدب في مصر وفي سائر الأقطار العربية ، وأنا ماضٍ في أداء ذلك الواجب مهما اعتكرت الظروف

فما حديث اليوم ؟

ومن الأديب الذي نلوذ بماضيه المادي فننسى أو نتناسى

ما يحيط بنا من متاعب لا يتجاهل وقعها الألم إلا من قُدَّ قلبه من الصخر الجلمود ؟

الحبوبي

نحن أمام ديوان طُبع في بيروت سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م على نفقة الحاج عبد المحسن شلاش ، والشاعر هو السيد محمد سعيد حبوبي « أشعر شعراء الشرق أمس وأكبر علمائه اليوم » كما كُتب في صدر الديوان ، فمن هو بين الشعراء والعلماء ؟

إن العبارة التي رُقمت على صدر الديوان تشهد بأن الرجل واجهَ لونين من ألوان الحياة الفكرية ، فعاش أولاً للشعر ثم انقطع للعلم ، وبذلك طغت شخصيته العلمية على شخصيته الشعرية ؛ فإن انتهى بنا البحث إلى القول بأنه كان من الطبقة الثانية أو الثالثة بين الشعراء فسيصدُق أقوامٌ حين يقولون بأنه كان في صدر الطبقة الأولى من العلماء ، وهل من القليل أن يسمو العلم بالحبوبي فيحفظ له ضريحاً في رحاب الحرم الحيدري بالنجف ؟

ولكن كيف هجر الحبوبي حياة الشعر وانقطع للعلم والتعليم مع ذلك الحظ من الفطرة الشعرية ؟

يرجع السبب فيما أفترض إلى الرغبة في التفوق ، وكان الحبوبي يعرف في سريرة نفسه أن طاقته العلمية أقوى من طاقته الأدبية . وفي المقدمة التي كتبها الشيخ عبد العزيز الجواهري لديوان الحبوبي عبارة تشهد بأنه كان مفهوماً أن الحبوبي لا يقدر على مسايرة شوقي وحافظ وزناتي وصبري ، وهم شعراء وصلت قصائدهم إلى العراق في ديباجة مصقولة لم يسبق لها نظير في الشعر الحديث ، ولا تسهُل محاكاتها على رجل يعيش في بيئة تأخذ زادها الأعظم من أقوال النحاة وقضايا الفقه والأصول

على أنه لا موجب للتكلف في البحث عن الأسباب التي قضت بانتقال الحبوبي من ميدان الشعر إلى ميدان التدريس . فالرجل فيما يظهر كان يميل إلى إيثار الحياة العلمية ، وكان الناس من حوله يطيب لهم أن يروه من أعاظم العلماء ، إن صح أن البيئة التي سكن إليها وسكنت إليه كانت تملك صرفه عن الانخراط في سلك أكابر الشعراء ، لو أرادت به شياطين الشعر غير ما يريدون !

والواقع أن البيئة التي أحاطت بالحبوبي كانت ترجو أن يظفر بأعظم الحظوظ من الشاعرية ، ولكن الرجل عرف ما يملك من الطبع ، فلم يجاوز ما يطيق إلى ما لا يطيق ، وإن أثقله محبوه بأضخم الألقاب

والواقع أيضاً أن الحبوبي الشاعر أضاعته الحياة الفقهية ، وهي حياة لا يرتفع معها شعر ولا خيال ، وإن كانت في ذاتها من أجل الحيوات ، وهل تمز الشاعرية على من يسمفه الروح بمثل هذا الهتاف

إسقني كأساً وخذ كأساً إليك فلذيذ العيش أن نشتركا
وإذا جدت بها من شفتيك فاسقنيها وخذ الأولى لكا
أو فحسبي خمرة من ناظريك أذهبت نسكي وأضحت منسكا
وانهب الوقت ودع ما سلفا واغتنم صفوك قبل الرَّنق
إن صفا العيش فما كان صفا أو تلاقَيْنا فقد لا نلتقي

وقد فتن الشاعر بهذا المعنى فأعاده بأسلوب آخر حين قال :

ياغزال الكرخ وا وجدي عليك كاد سري فيك أن ينهتكا
هذه الصهباء والكأس لديك وغرامي في هواك احتنكا
فاسقني كأساً وخذ كأساً إليك فلذيذ العيش أن نشتركا
أترع الأقداح راحاً قرقفا
واسقني واشرب أو اشرب واسقني
فلماك العذب أحلى مرشفاً من دم الكرم وماء المزُن(١)

إن الشاعرية لا تمز على من يسمفه الروح بمثل هذا الهتاف ولا تعظم على من يزور داراً في بغداد فيروعه ما عند أهلها من صباحة الوجوه وطهارة القلوب فيقول :

فلست أدرى أأملى فيهم غزلاً لما رأيتهمُ أو أنشئ المِدَحا

إن الفقه هو الذي وأد الشاعرية في صدر من كان يجيد مثل هذا النشيد :

رويداً سائق النوق فما ودعتُ معشوقي
فبالأحداج لي رشأٌ رمى سهماً بلا فُوق
بسهم اللحظ يرشقني وقلبي جدّ مرشوق
كأن القلب يوم سرى هوى من فوق عيّوق

---

(١) المعروف أن الحبوبي لم يشرب الخمر حتى يجيد فيها القول ، ولكن الحاج عبود شلاش حدثنا أن الحبوبي كان له إخوان في بغداد

فليت العيس مارحلتْ ولا قامت على سوق
فقد خفّت بمنبلج من اللألاء مخلوق

والبيت الأخير من وثبات الخيال

الفقه هو الذى أضاع صاحب هذا الهتاف :

يا حامل الوردة ما ألطفك ! فهل ترى لى اليوم أن أرشفك ؟
يا وردة الناظر بالله قل بهذه الوردة من أتحفك ؟
لا أقطف الورد ، ولكننى قد كدت من روضك أن أقطفك

وخلاصة القول أن الحبوبى كان آية فى قوة الطبع ودقة الذوق ، ولكن الفقه جنى عليه فلم يحفظ له مكان بين أكابر الشعراء

مراجع

رأى القارئ فى صدر هذا المقال أنى ضيّق الصدر بسبب ما يثور من الأزمات الدولية ، وقد حاولت أن أنتفع بفرصة الكلام عن الحبوبى فأسوق طوائف من البحوث المتصلة بتاريخ الشعر العراق فى العصر الحديث ، ولكن الحوادث صدّتنى عما أريد ، فلم يبق إلا أن أوجه نظر القارئ إلى المراجع التى تساعد على فهم شاعرية الحبوبى ، وأهمها بعد الديوان كتاب « العقد المفصل » ففيه أخبار كثيرة عن الحبوبى ، وفيه إشارات تشرح بعض الغوامض من ذلك الديوان

شهيد الدفاع

هذا عنوان قصيدة نظمها معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى فى رثاء الحبوبى ومن هذه القصيدة نعرف أن الحبوبى كان نهض إلى الدفاع فى المحرم سنة ١٣٣٣ « ١٩١٥ » فأجابه خلق من أهل الفرات والأقاليم الجنوبية وسار بهم إلى (الشعيبة) ولكنهم أصيبوا بالخذلان فعاد إلى الناصرية ورابط فيها إلى أن مات فى عشية الأربعاء ثانى شعبان سنة ١٣٣٣

ومعنى ذلك أن الحبوبى لم يكتف بالمنزلة الأدبية والعلمية فتسامت نفسه إلى الاتسام بوسم الجهاد

وقصيدة الشبيبى فى رثاء الحبوبى تضمّنتْ إشارات إلى أغراض سياسية يضيق عنها هذا الحديث ، وفيها نفحة من قصيدة شوقى فى « الأندلس الجديدة »

زناتى

مرت إشارة إلى الشاعر زناتى عند الحديث عن الشعراء الذين عجزوا عن مجاراتهم الحبوبى ، فمن هذا الشاعر المصرى المجهول؟ هو الشيخ أحمد زناتى ، أحد أساتذة اللغة العربية ، وكان الشاعر الثانى بعد شوقى فى نظر أستاذنا الشيخ محمد المهدى ، وكنا نحفظ له فى عهد الحداثة قصيداً نخاله مبتدأ بهذين البيتين

أرقتُ وأصحابى خليّون نُوّمُ وما أنا ذو شوق ولا أنا مُغرَمُ
ولكنّ همّا بين جنبيّ شبّهُ على ذوو القربى عفا الله عنهم

وقد أرجع إلى البحث عن آثار هذا الشاعر بعد حين ، الشاعر الذى جهله المصريون وعرفه العراقيون .

زكى مبارك

في الاجتماع اللغوى

اللهجات العامية الحديثة

عوامل تطورها وصفاتها المشتركة

للدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

— ١ —

تقتضى نواميس اللغات أنه متى انتشرت اللغة فى مناطق واسعة من الأرض ، وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً ، بل لا تلبث أن تنشعب إلى لهجات ، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها حتى تصبح كل منها لهجة متميزة غير مفهومة إلا لأهلها . وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللهجات يختلف بعضها عن بعض فى كثير من الوجوه . ولكنها تظل مع ذلك متفقة فى وجوه أخرى ، إذ يترك الأصل الأول فى كل منها آثاراً تنطق بما بينها من صلات القرابة ولحمة النسب اللغوى . وكثيراً ما يبقى الأصل الأول مدة كبيرة لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منه

ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية من مبدأ نشأتها إلى العصر الحاضر . فاللغة اللاتينية مثلاً — وهى إحدى لغات الفرع الإيطالى من الفصيلة الهندية — الأوربية ، قد أخذت فى أواخر العصور القديمة وفى العصور الوسطى تنشعب إلى عدد كبير من اللهجات ، وأخذت كل لهجة من هذه اللهجات تسلك فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، حتى أصبحت كل منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها . وقد بقيت اللاتينية مدة كبيرة لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منها (الفرنسية ، الإيطالية ، الإسبانية ، البرتغالية ، لغة رومانيا . . .) . ولكنها تنحت عن هذه الوظيفة بعد أن اكتمل نمو هذه اللغات[١] . . .

ولم تفلت اللغة العربية — وما كان يمكن أن تفلت — من هذا المصير ؛ فمنذ أن اتسع انتشارها ، أخذت تنشعب إلى لهجات يختلف بعضها عن بعض وتختلف عن الأصل الأول الذى انشعبت عنه فى كثير من مظاهر الصوت والقواعد والدلالة والمفردات ؛ وسلكت كل لهجة منها فى تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، تحت تأثير ظروفها الخاصة ، وأخذت مسافة الخلف تتسع بين هذه اللهجات ، حتى أصبح بعضها غريباً عن بعض : فلهجة العراق أو لهجة المغرب مثلاً فى العصر الحاضر ، لا يفهمها المصرى إلا بصعوبة وفى صورة تقريبية . غير أنه قد خفف من أثر هذا الانقسام اللغوى بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين

ويرجع السبب فى انشعاب هذه اللهجات عن العربية الفصحى وفى تطورها المطرد فى نواحى : الأصوات والقواعد والدلالة والمفردات ، إلى عوامل كثيرة من أهمها ما يلى :

١ — انتشار اللغة العربية فى مناطق لم تكن عربية اللسان فقد تغلبت اللغة العربية على اللغات اليمنية القديمة فى معظم بلاد اليمن ، وعلى اللهجات الآرامية فى العراق والشام ، وعلى الألسنة القبطية والبربرية والكوشية فى مصر وشمال أفريقيا وشرقها . ومن المقرر أن اللغة الغالبة ينالها كثير من التحريف فى ألسنة المحدثين من الناطقين بها (المغلوبين لغوياً) تحت تأثير لهجاتهم القديمة وأصواتها ومفرداتها وما درجوا عليه من عادات فى النطق وهلم جراً . . .

وقد كان لهذا العامل أثر واضح فى اختلاف لهجات هذه المناطق الجديدة بعضها عن بعض ، واختلافها عن اللسان العربى الأول . فقد تأثرت اللغة العربية فى كل منطقة من هذه المناطق بلهجاتها القديمة ، وانحرفت فى ألسنة أهلها انحرافاً خاصاً اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة ومناهج ألسنتهم الأولى ؛ وتأثرت ألسنة الجاليات العربية نفسها فى كل منطقة من هذه المناطق بألسنة أهلها ، فنشأ من جراء ذلك فى كل بلد من هذه البلاد لهجة

(١) أنظر تفصيل هذا القانون فى الفصل الخامس من كتابنا « علم اللغة » صفحات ٢٠٢ — ٢١١

عربية تختلف عن لهجة غيرها ، وتختلف عن اللغة العربية الأولى فالعربية فى الشام مثلاً متأثرة بالألسنة الآرامية القديمة ، وفى المغرب باللهجات البربرية التى صرعتها العربية فى هذه البلاد ... وهلم جراً ...

٢ — عوامل اجتماعية سياسية : كاستقلال البلاد العربية بعضها عن بعض ، وضعف السلطان المركزى الذى كان يجمعها ويوثّق ما بينها من علاقات . فمن الواضح أن انفصام الوحدة السياسية يؤدى إلى انفصام فى الوحدة الفكرية واللغوية

٣ — عوامل اجتماعية نفسية تتمثل فيما بين سكان هـذه المناطق من فروق فى النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحى التفكير والوجدان ... وما إلى ذلك ، فمن الواضح أن الاختلاف فى هذه الأمور يتردد صداه فى أداة التعبير

٤ — عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق فى الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها ... وما إلى ذلك ؛ وفيما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبـال وأنهار وبحار وبحيرات ... وهلم جرا . فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدى — عاجلاً أو آجلاً — إلى فروق وفواصل فى اللغات

٥ — عوامل شعبية جنسية تتمثل فيمـا بين سكان هذه المناطق من فروق فى الأجناس والفصائل الإنسانية التى ينتمون إليها والأصول التى انحدروا منها . فمن الواضح أن لهذه الفروق آثاراً بلينة فى تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات

٦ — إختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب . فمن المقرر أن هذه الأعضاء تختلف فى تكوينها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتى تنتقل بطريق الوراثة من السلف إلى الخلف[1] . فلم يكن مناص إذن أن تختلف أصوات اللهجات العربية بعضها عن بعض باختلاف الشعوب التى انتشرت فيها ، وأن تتجه كل لهجة منها فى تطورها من هذه الناحية إلى منهج يختلف عن منهج غيرها

٧ — التطور الطبيعى المطرد لأعضاء النطق . فمن المقرر أن أعضاء النطق فى الإنسان فى تطور طبيعى مطرد فى تكوينهـا

(١) أنظر تفصيل هذا للموضوع فى كتابنا « علم اللغة » ص ٢٧٤ وتوابعها .

واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها . فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين ، إن لم تكن فى تكوينها الطبيعى ، فعلى الأقل فى استعداداتها ؛ بل إنها لتختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأقربين[1]

وغنى عن البيان أن كل تطور يحدث فى أعضاء النطق أو فى استعدادها يتبعه تطور فى أصوات الكلمات ، فتحرف هذه الأصوات عن الصورة التى كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر منها ملاءمة مع الحالة التى انتهت إليهـا أعضاء النطق . فكان من المستحيل أن تجمد ألفاظ اللغة العربية على حالتها الأولى فى الأمم الناطقة بها ؛ ولم يكن مفر من أن ينالها كثير من التطور باختلاف العصور . ومن آثار هذا ما حدث فى اللغة العربية بصدد أصوات الجيم والثاء والذال والظاء والقاف . فقد أصبحت هذه الأصوات ثقيلة على اللسان فى كثير من البلاد العربية ، وأصبح لفظها على الوجه الصحيح يتطلب تلقيناً خاصاً ومجهوداً إرادياً وقيادة مقصودة لحركات المخارج . ولعـدم ملاءمتها مع الحالة التى انتهت إليها أعضاء النطق فى هذه البلاد أخذت تتحول منذ أمد بعيد إلى أصوات أخرى قريبة منها[2] ، فصوت الجيم الذى كان ينطق به معطشاً بعض التعطيش فى العربية الفصحى قد تحول فى معظم المناطق المصرية إلى جاف (جيم غير معطشة) ، وفى معظم المناطق السورية والغربية إلى جيم معطشة كل التعطيش (J)[3] ، والثاء قد تحولت إلى تاء فى معظم المناطق المصرية وفى بلاد أخرى فيقال : (توب . تلج . تخين . تعلب . تعبان . تقل . تقيل . تلت . تلاتة . تمن . تمـانية . تور . اتنين . تتر . جتة . عتة . عتر ... الخ . بدلاً من : ثوب . ثلج . ثخين . ثعلب . ثعبان . ثقل . ثقيل . ثلث . ثلاثة . ثمن . ثمانية . ثور . اثنان . نثر . جثة . عثة . عثر ... الخ)[4] . والذال قد تحولت فى كثير

(١) أنظر تفصيل هذا الموضوع فى كتابنا « علم اللغة » ص ٢٧٠ وتوابعها

(٢) يحتمل كذلك أن بعضها كان متحولا إلى هذه الأصوات فى بعض القبائل العربية التى انتقلت لهجتها إلى هذه الأمم .

(٣) لا يزال ينطق بصوت الجيم نطقا صحيحا فى عامية العراق وبعض المناطق المصرية وخاصة فى مديرية الشرقية

(٤) تحول هذا الصوت فى كلمات قليلة إلى سين أو صاد : « ثواب » تنطق أحيانا « سواب » أو « صواب » .

من المناطق العربية إلى دال فى معظم الكلمات ، فيقال : (داب . دراع . ديب . ده . دى . دبل . دبح . دبان . دأن . أدان . ودن . دهب . ديل ... إلخ . بدلاً من : ذاب . ذراع . ذئب . ذا . ذى . ذبل . ذبح . ذُبّان . ذقن . أذان . أذن . ذهب . ذيل ... الخ) ؛ وإلى زاى فى بعض الكلمات ، فيقال مثلاً : (زنب . زهن . زكى . بزر . رزالة ... الخ ؛ بدلاً من : ذنب . ذهن . ذكى . بذر . رذالة ... الخ) . والظاء قد تحولت إلى ضاد فى معظم الكلمات ؛ فيقال : (ضلام . ضفر . ضل . ضهر . الخ . بدلاً من ظلام . ظفر . ظل . ظهر ... الخ) وإلى زاى مفخّمة فى بعض الكلمات (كما ينطق فى عامية المصريين بكلمات : ظالم . ظريف . أظن . حظ ... الخ)[(١)] . والقاف قد تحولت إلى همزة فى بعض الكلمات المصرية ، فيقال : (أط . ألت . أبل . عأد . نطأ ... الخ ؛ بدلاً من : قط . قلت . قبل . عقد . نطق . الخ) ؛ وإلى جاف (جيم غير معطشة) فى معظم اللهجات العامية فى مصر وغيرها من البلاد العربية ، فيقال : (جط . جلت . جبل . عجد . نطج . الخ) ؛ بدلاً من : قط . قلت . قبل . عقد . نطق . الخ)[(٢)] .

٨ — الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات الضعيفة . قد يحيط بالصوت بعض مؤثرات تعمل على ضعفه بالتدريج ، كوقوعه فى آخر الكلمة ، وزيادته عن بنيتها ، وعدم توقف المعنى المقصود عليه ؛ فيتضاءل جرسه شيئاً فشيئاً حتى يصل فى عصر ما إلى درجة لا يكاد يتبينه فيها السمع ؛ فحينئذ يكون عرضة للسقوط . وذلك أن معظم الصغار فى هذا العصر لا يكادون يتبينونه فى نطق الكبار ؛ فينطقون بالكلمات مجردة منه[(٣)] .

وقد كان لهذا العامل ، مع عوامل أخرى سيأتى ذكرها ، أثر كبير فى سقوط علامات الإعراب بالحركات من جميع اللهجات العامية المنشعبة عن العربية ؛ على حين أن الإعراب بالحروف ، لعدم تأثره بهذا العامل ، قد بقيت آثاره فى اللهجات العامية : (أخوك ، أبوك ، المؤمنين ، الطيبين ... الخ)

٩ — موقع الصوت فى الكلمة . وموقع الصوت فى الكلمة يعرضه كذلك لكثير من صنوف التطور والانحراف

(١) وأكثر ما يكون ذلك فى الأصوات الواقعة فى أواخر الكلمات سواء أكانت الأصوات أصوات مد أم أصواتاً ساكنة

أما أصوات المد ، فقد لوحظ أن وقوعها فى آخر الكلمة يجعلها فى الغالب عرضة للسقوط ، ويؤدى أحياناً إلى تحولها إلى أصوات أخرى . وقد كان لهذا العامل أثر كبير فى سقوط أصوات المد القصيرة المسماة بالحركات (التى يرمز إليها فى الرسم العربى بالفتحة والكسرة والضمة) التى تلحق أواخر الكلمات العربية . ففى جميع اللهجات العامية المنشعبة عن العربية (عاميات مصر والعراق والشام وفلسطين والحجاز واليمن والمغرب ... الخ) قد انقرضت هذه الأصوات جميعها ، سواء فى ذلك ما كان منها علامة إعراب وما كان منها حركة بناء . فينطق الآن فى هذه اللهجات بجميع الكلمات ساكنة الأواخر (فيقال مثلاً : « رجعْ عمرْ للمدرسة بعد ما خفْ من عياه » بدلاً من « رجَعَ عمرُ إلى المدرسة بعد ما خفَّ من إعيائه » . — ولعل هذا هو أكبر انقلاب حدث فى اللغة العربية ؛ فقد أتى على جميع الكلمات فانتقصها من أطرافها ، وجردها من العلامات الدالة على وظائفها فى الجملة ، وقلب قواعدها القديمة رأساً على عقب

ومن هذا القبيل كذلك ما حدث فى اللغة العربية بصدد أصوات المد الطويلة : (الألف والياء والواو) الواقعة فى آخر الكلمات ، فقد تضاءلت هذه الأصوات فى عامية المصريين وغيرهم حتى كادت تنقرض تمام الانقراض ، سواء فى ذلك ما كان منها داخلاً فى بنية الكلمة (رمى ، يرمى ... الخ وما كان خارجاً عنها (ضربوا ، ناموا ... الخ) ، فيقال مثلاً فى عامية المصريين : « رام وعيسَ ومصطفَ أبُ حسين سافرَ يوم الخميس لجرجَ » بدلاً من : « رامى وعيسى ومصطفى أبو حسين سافروا يوم الخميس إلى جرجا »

وما حدث فى اللغة العربية تحت تأثير هذا العامل ، حدث مثله فى كثير من اللغات الأخرى . فمعظم أصوات اللين المتطرفة

(١) لايزال بأصوات الثاء والظاء والذال نطقا صحيحا فى عامية العراق والمغرب وخاصة فى طرابلس وفى القبائل العربية النازحه إلى مصر (الفوايد الرماح ، البراعصة ، أولاد على ، الحرابى ، الضعفاء ، صمالوس ... الخ .

(٢) لايزال صوت القاف محتفظا بنطقه الصحيح فى كثير من الكلمات فى عامية العراق وعامية رشيد . وكان مستعملا منذ عهد غير بعيد فى بعض مناطق بنى سويف ؛ وقد سمعت أنا نفسى بعض شيوخ أسرتى (ببلدة الحمام مركز بنى سويف) يتكلمون بالقاف ؛ ولا يزال العامة فى هذه المناطق يتكلمون بالقاف حينما يروون عبارة منسوبة إلى أجدادهم فى الأقاصيص الشعبية وما إليها ؛ وهذا يدل على أن صوت القاف لم ينقرض لديهم إلا منذ أمد قريب .

(٣) أنظر تفصيل هذا العامل فى كتابنا « علم اللغة » ص ٧٨ وتوابعها

فى اللغة اللاتينية قد انقرض فى اللغات المنشعبة عنها.[١]

ووقوع الصوت الساكن (ونعنى به ما يقابل صوت المد فى آخر الكلمة يجعله كذلك عرضة للتحول أو السقوط ، فمن ذلك ما حدث فى اللغة العربية بصدد التنوين ونون الأفعال الخمسة والهمزة والهاء المتطرفتين [٢] . فقد انقرضت هذه الأصوات فى معظم اللهجات العامية المنشعبة عن العربية ، كما يظهر ذلك بالموازنة بين العبارات العربية المدونة فى السطر الأول ونظائرها فى عامية المصريين المدونة فى السطر الثانى :

محمدٌ ولدٌ مطيعٌ ؛ الأولاد يلعبون ، الهواءُ شديدٌ ؛ إنتظرته ساعةً كاملةً

محمدْ ولدْ مطيعْ ؛ الأولاد بيلعبُ ؛ الهوَ شديدْ ، إنتظرتُ ساعَ كاملَ

ومن هذا القبيل كذلك حذف آخر الكلمة التى يوقف عليها فى عامية كثير من المناطق المصرية ، كبعض مناطق بنى سويف والشرقية ورشيد ، فيقال مثلاً : « إنت يا وَلَ » ؛ بدلاً من « أنت يا ولد » ؛ « فين أخوك محمو » بدلاً من « أين أخوك محمود » ؛ « إدّيلُ تمنتساررو » بدلاً من « أدّ له ثمنة قروش »[٣]

وما حدث فى اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله فى كثير من اللغات الأخرى . فمعظم الأصوات الساكنة المختتمة بها الكلمات اللاتينية قد انقرضت فى النطق الفرنسى أو تحولت إلى أصوات ساكنة أخرى أضعف منها أو إلى أصوات لين[٤]

(ب) ووقوع الصوت فى وسط الكلمة يعرضه كذلك لكثير من صنوف التطور والانحراف . فمن ذلك ما حدث فى اللغة العربية بصدد الهمزة الساكنة الواقعة فى وسط الثلاثى ، فقد تحولت إلى ألف لينة فى عامية المصريين وغيرهم ، (فيقال : راس ، فاس ، فال ، ضانى ... الخ بدلاً من : رأس ، فأس ، فأل ، ضأن ... الخ)

ومن هذا القبيل كذلك ما حدث بصدد الياء والواو الساكنتين فى وسط الكلمة فى مثل « عين » و « يوم » . فقد تحولتا فى بعض المناطق المصرية وغيرها إلى صوتين من أصوات المد ، فأولها تحول إلى صوت يشبه صوت « é » فى اللغة الفرنسية (عين ، خيل ، بين ، زنيب ... الخ) ، وثانيهما تحول إلى صوت يشبه صوت « ô » الفرنسى (يوم ، نوم ، فوز ، لوم ... الخ)

ومن ذلك تحريك الحرف الساكن إذا وقع فى وسط كلمة ثلاثية فى كثير من لهجات البلاد العربية (عامية الشرقية ، وبعض عاميات الصعيد ، ولهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر ، ولهجة العراق ... الخ ؛ فيقال مثلاً : إسِم ، رَسِم ، مَصِر ، جُرُن ، بَدِر ، فجِل ، نخَل ... الخ ، بدلاً من اسْم ، رسْم ، مصْر ، جرْن ، نجْل ، نخْل ... الخ)[١]

وقد سجل الباحثون ظواهر كثيرة من هذا القبيل فى اللغات الهندية الأوربية[٢]

(جـ) ووقوع الصوت فى أول الكلمة يجعله كذلك عرضة للانحراف . فمن ذلك ما حدث فى بعض المفردات العربية المفتتحة بالهمزة ؛ إذ تحولت همزتها فى بعض اللهجات العامية إلى فاء أو واو (« أذْن » تحولت فى عامية المصريين إلى « ودْن » و « أين » تحولت إلى « فين » أو إلى « وين » فى عامية القبائل العربية النازحة إلى مصر ، وفى عامية العراق والحجاز ؛ و « أدّى » تحولت فى بعض المواضع فى عامية المصريين إلى « ودّى » فيقال مثلاً : « ودّاه المدرسة » بمعنى « أدّى به إلى المدرسة » أى أوصله إليها[٣])

وسنعرض لبقية هذه العوامل فى المقالات التالية إن شاء الله

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) يستثنى من ذلك الايطالية ، فقد احتفظت بمعظم هذه الأصوات (أنظر تفصيل هذا الموضوع بكتابنا « علم اللغة » ص ٢٨٤ وتوابعها)

(٢) التاء المربوطة حكمها فى ذلك حكم الهاء المتطرفة كما يظهر من المثال المذكور فيا بعد .

(٣) سار على هذا الأسلوب كذلك بعض اللغات العربية الفصيحة كلغة طيء ، وقد جرت عادة المؤلفين من العرب بتسميته « قطعة طيء » أى قطع اللفظ قبل تمامه . فكانت يقال مثلا فى لغتهم « يا أبا الحك » بدلا من « يا أبا الحكم » ولم يكن هذا مقصورا على المنادى بل كان عاما فى جميع الكلمات .

(٤) أنظر تفصيل هذا الموضوع بكتابنا «علم اللغة» صفحتى ٢٨٦ ، ٢٨٧

(١) هذه كذلك لهجة قديمة من لهجات بعض القبائل العربية .

(٢) أنظر تفصيل هذا الموضوع بكتابى « علم اللغة » ص ٢٨٨ .

(٣) ليس هذا مقصورا على اللغات العامية ، بل يوجد له نظير فى اللهجات العربية . ففى لغة لأهل اليمن تبدل الهمزة واوا فى مثل « آنيته » فيقال مثلا : وأنيته على الأمر مواتاة ، وهى المشهورة على ألسنة الناس .

هــــل لليهود فن ؟
رد على رد
للدكتور أحمد موسى

[جاء بالعدد رقم ٩٣ من مجلة الثقافة مقال بعنوان « هل لليهود فن » قرر فيه الدكتور زكى محمد حسن مبدأين خطيرين كانا سببا فى اهتمامى ، وهما (أولا) أن اليهود لم يعرضوا الفنون الجميلة أبداً . و(ثانياً) أن اليهود تركوا أدباً وديناً أثروا بهما أثراً لا يقل عن أثر الاغريق فى الحضارة الانسانية . وقد نفينا الزعم الأول فى استفهام أرسلناه إلى مجلة الثقافة ونشر بالعدد رقم ٩٩ مزوداً بمصادر علمية ، وطلبنا إلى الدكتور زكى أن يدعم الزعم الثانى بالأدلة ؛ لأننا اعتبرناه فتحاً جديداً فى العلم يحتاج إلى البحث والفحص وذكر المصادر

وقد رد الدكتور على استفهامنا رداً نشرته مجلة الثقافة بالعدد ١٠٠ لم يكن مقنعاً — والقارىء يستطيع أن يكون لنفسه فكرة عامة عن المقال الأول ومن الحوار العلمى الذى دار حول هذا الموضوع الخطير ، بقراءة هذا الرد] . (أ . م)

نشرت لى مجلة « الثقافة » استفهاماً بالعدد ٩٩ ونشرت للدكتور زكى محمد حسن رده على استفهامى بالعدد ١٠٠ وها هى مجلة « الرسالة » تفسح الصدر لنشر ردى على رده

والدكتور زكى مؤلف وكاتب معروف ، ولا ينتظر من قراء مقالاته أن يهملوا ما يكتب ، فنشكره ونعتذر إليه عن العودة إلى الكتابة لأن رده لم يكن مقنعاً

فى رده على استفهامنا تؤخذ المسائل الآتية حسب ما ورد فى مقاله بالعدد ١٠٠ فى مجلة « الثقافة » :

١ — أن الأركيولوجيا أو علم الآثار تعنى بدراسة المخلفات كلها وتدرس حياة الشعوب وطرق معيشتها ، وهى مرجعنا الوحيد فى دراسة مدنيات الأمم التى اندثرت بدون أن تصل إلينا وثائق مكتوبة عنها (ص ٢٥ العمود الأيمن)

٢ — إن تاريخ الفن هو دراسة التحف التى صنعها الإنسان مراعياً فيها إلى حد ما شيئاً من مبادىء الجمال ، وهو لا يعنى إلا بالتحف والآثار ذات القيمة الفنية (ص ٢٥ العمود الأيمن)

٣ — أنه إذا كان فى كتب الآثار الموضوعة عن شعب من الشعوب ما يدل على أن الفنون كانت زاهرة بين أفراده ؛ فإن هذا لا يستلزم أن هذه الفنون كانت فنونهم ومطبوعة بطابعهم (ص ٢٥ العمود الأيمن)

٤ — أن الدكتور زكى يرجح أننا لسنا على حق فى حسبان بنسنجر Benzinger من بنى إسرائيل ، لأنه كان مدرساً فى كلية اللاهوت البروتستانتية بتوبنجن (ص ٢٥ العمود الأيسر)

٥ — إن المراجع والكتب فى تاريخ الفن تتحدث عن الطرز الفنية طرزاً طرزاً ، ولكن (مستفهم) لن يجد بين صفحاتها فصلاً أو بعض فصل عقد للكلام عن فن ينسب لليهود (ص ٢٦ العمود الأيمن)

٦ — يأبى (مستفهم) أن يصدق أن اليهود أثروا بدينهم وأدبهم أثراً لا يقل عن أثر الإغريق ، ويقول إن هذا فتح جديد فى العلم يحتاج لتصديقه والإيمان به إلى البحث والفحص وذكر المصادر ، ويدعو (مستفهم) إلى دراسة العلاقة بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، وقراءة سير كبار العلماء والمفكرين اليهود واستعراض صلة اليهودية بحركة الإصلاح الدينى فى أوربا ، وتبين أثر اليهود فى القوانين الغربية ؛ حتى أرى بذلك أن أثر اليهود فى الحضارة لا يقل عن أثر الإغريق (ص ٢٦ العمود الأيسر)

٧ — إن أثر الإغريق فى الحضارة الإنسانية وأثر اليهود فيها مسألة اعتبارية ونسبية (ص ٢٦ العمود الأيسر)

وردنا على هذه المسائل ما يأتى :

١ — لم تعن الأركيولوجيا بدراسة المخلفات كلها وحياة الشعوب وطرق معيشتها إلا فى عصر ديونيزيوس الهاليكرناسى Dionysius of Halikarnass (٣١ ق . م) . الذى ذهب إلى روما وألف كتاباً فى عشرين جزءاً لم يبق منها إلا نصفها تقريباً عن أركيولوجية روما Archaologia Romana ، تناول فيه حياة الشعب وطرق معيشته وعاداته وفنونه ، وعصر يوسيفوس اليهودى Josephus المولود فى أورشليم عام ٣٧ بعد الميلاد الذى ألف كتاب الأركيولوجيا اليهودية Archaologia Judaica فى عشرين جزءاً ذكر فيها كل ما يتعلق ببنى جنسه وأحوالهم وعاداتهم وفنونهم من أقدم العصور إلى آخر أيام نيرون

وقصد بالأركيولوجيا فى عصر إحياء العلوم والآداب والفنون:

(ا) تفسير المخلفات الأثرية القديمة وتقدير الدرجة الفنية

التى بلغتها ليدرك الناس ماهية الآثار والفنون ، كما كان الحال عند « الإنسانيين » Humanen ، عندما تناولوا التراث الأدبى القديم Humaniore لتحويله إلى دراسات عامة بعد أن كان من شأن الخاصة [١] .

(ب) وتأريخ المخلفات التى يرجع عهدها إلى المرحلة الزمنية المحصورة بين عامى ١٥٠٠ و١٧٥٠ من مبان وتماثيل ونقوش

واتخذت الأركيولوجيا اتجاهاً جديداً بعد ظهور كتاب أوتفريد مولر (١٧١٧ — ١٧٦٨) عن أركيولوجية الفن [٢] . وكتب غيره من العلماء والأدباء والباحثين فى الفنون فى بلاد الإغريق وآسيا الصغرى والشرق ، وبذا تم تأسيس معهد الدراسات الأركيولوجية فى برلين سنة ١٨٢٨ ، فاستقلت الأركيولوجيا علماً قائماً بذاته بفضل فنكلمان [٣]

وفى فجر القرن الثامن عشر عنى بنجهام الإنجليزى بوضع كتاب « أركيولوجية الكنائس » فى عشرة أجزاء [٤] ، طبع لندن سنة ١٧١٠ — ١٧٢٢ ، كما عنى أوجستى الألمانى بوضع كتاب آخر فى اثنى عشر جزءاً [٥] ، طبع ليبتسج فى نفس الفترة الزمنية

وظاهر مما تقدم أن الأركيولوجيا تطورت تخصيصاً ؛ فأصبحت لا تعنى بالمخلفات كلها ، أو حياة الشعوب وطرق معيشتها ، ولم تعد المرجع الوحيد فى درس الحضارات البائدة ، إذ لا بد من الاستعانة بعلوم أخرى لإكمال هذا الدرس ، كعلم تطور القشرة الأرضية Geologie وعلم الجماجم والعظام البشرية Anthropologie وعلم الأجناس وسلالاتها Ethnologie وعلم المسكوكات والدراهم Numismatik

٢ — أما قصر تاريخ الفن على دراسة التحف التى صنعها الإنسان « مراعياً إلى حد ما شيئاً من مبادىء الجمال » ؛ فقد يبدو براقاً وإن يكن غير صحيح ؛ والصحيح أن درس كل إنتاج

(١) G. Voigt, Die Wiederbelebung des klassichen Alter tums, Berlin 1893.

(٢) Ottfried Müller, Handbuch der Archäologie der Kunst, Breslau 1830.

(٣) Justi, Johann J. Winckelmann; sein Leben, seine Werke und seine Zeitgenossen, 3 Bde. Leipzig.

(٤) Bengham, The antiquities of the Christian Church, London 1710-22.

(٥) Augusti, Denkwürdigkeiten aus der christlichen Archäologie, Leipzig 1817.

فنى من اختصاص تاريخ الفن بغير حساب للجمال ، لأن مجرد نسبة هذا الإنتاج للجمال ، تقلل من قيمته الفنية لاختلاف الآراء فى الجمال فى كل زمان ومكان

يعنى تاريخ الفن بالفكرة Idèe واتصالها بالطبيعة صلة إلهام (ألبرشت دورر) [١] وتتلوها وسيلة الإنتاج الفنى (المسلك) وبها تقدر كفايته ، وعلى هذا الرأى فى الفن الأديب الأشهر جوتهولد ليسنج [٢]

وجعل العلامة فنكلمان (٣) التناسب أساس الفن ، ووصف الجمال بأنه المثل الأعلى ، متتبعاً فى رأيه خطوات أوجستين (٣٥٤ — ٤٣٠) non mole constat, sed paralitate ac dimensione membrosum

٣ — « إذا كان فى كتب الآثار الموضوعة عن شعب ما يدل على أن الفنون كانت زاهرة بين أفراده ؛ فهذا لا يستلزم أن هذه الفنون كانت فنونهم ومطبوعة بطابعهم » ؛ فهذا مردود عليه باستحالة جمود شعب عن ممارسة فن يُقتبَس ويُخرَج ويُبرز فى وطنه ! على أن الجائز هو أنه لا يشترط حتماً أن يكون الفن المزدهر فى بلد ما خالصاً لأبنائه دون أثر أجنبى فيه

٤ — وترجيح صديق الأستاذ الدكتور زكى حسن أن بنسنجر ليس من اليهود ، لأنه كان مدرساً فى كلية اللاهوت البروتستانتية بتوبنجن مخالف للواقع ؛ فإنه ولد فى شتوتجارت وتخرج فى جامعتها وجامعة توبنجن ودرّس لاهوت التوراة ببرلين إلى سنة ١٩٠١ ، ثم صار نائباً لقنصل هولاندا فى أورشليم إلى سنة ١٩١٢ ثم ندب لتدريس اللغات السامية فى جامعة تورنتو إلى سنة ١٩١٤ ، فأستاذاً لآداب التوراة فى مدفيل Meadville إلى نهاية الحرب الماضية . أما مؤلفاته فكتاب الآثار العبرانية [٣] وشرح أسفار الملوك [٤] ، وتاريخ بنى إسرائيل [٥] ، وفضل اليهود فى ابتداء التشريع [٦] ، ويافت ، وإلوه [٧] ودليل

(١) Die Kunst steckt wahrhaftig in der Natur, wer sie heraus kann reissen; der hat sie. Albrecht Dürer (1471-1582)

(٢) Gotthold Lessing, Hamburgische Dermaturgie, Stück 70 (1 Jan. 1768).

(٣) Hebräische Archäologie

(٤) Commentar zu den Königsbüchern

(٥) Commentar zu der Chronik; Geschichte Israels.

(٦) Wie würden die Juden das Volk des Gesetzes ?

(٧) Jahvist und Elohist in den Königsbüchern.

« بيدكر » عن فلسطين وسوريا سنة ١٩١٢[1] كل ذلك مما يؤيد أن بنتسنجر يهودي

٥ — لم تخل كتب تاريخ الفن من صفحات وفصول عقدت للكلام على فن ينسب لليهود ، وإليك يا صديقي ثلاثة منها :

(أ) طرز الزخرفة ، تأليف شپلتس ، صفحات ٣٩ ـ ٤١ ولوحة رقم ١٤[2]

(ب) الفن القديم تأليف لوبكه ـ برنيس ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٥[3]

(ح) أسس تاريخ الفن ، تأليف لوبكه ، الجزء الأول من صفحة ٥٨ إلى ٦٧[4]

وهذه الكتب الثلاثة قليلة بالنسبة إلى كتب أخرى عالجت تاريخ الفنون عامة وألمت بتاريخ الفن اليهودي

٦ — أما قول الدكتور الفاضل بأن اليهود أثروا بدينهم وأدبهم أثراً لا يقل عن أثر الإغريق فلا يوافقه عليه أحد ، على حين توافقني على نقيضه الكثرة الغالبة من العلماء والمؤرخين حتى من اليهود أنفسهم . وأقرر بأن اليهود تأثروا بالعرب في مصر وشمال أفريقيا وأسبانيا وغيرها ، ونقلوا عنهم . وكان الفضل فيما وصلوا إليه راجعاً إلى علوم الإغريق التي اشتغل العرب بترجمتها

قال ابن ميمون (١١٨٥ — ١٢٠٤) في كتابه « مرشد الحائرين[5] » أن ما اقتبسه اليهود من العلم والفلسفة كبصيص من النور وصل إليهم عن طريق العرب الذين استفادوا من حكمة الإغريق

أما ما كتبه العالم اليهودي الألماني « مونك » في كتابه « مزيج من الفلسفة العربية واليهودية[6] » ؛ فهو يؤيد فضل العرب على اليهود ، كما يقرر بأنه لم يكن لبني إسرائيل فيلسوف سوى ابن ميمون

ولا نحب في هذا المجال أن ننقص من فضل « باروخ شبينوزا » الفيلسوف الهولاندي المتوفى سنة ١٦٧٧ المنسوب إلى اليهود ، وإن كان التنويه بذكره لا يكسب بني جنسه شيئاً فيما نحن بصدده ، لأنه كان مغضوباً عليه ومحروماً من دخول المعبد لإلحاده ولمذهبه في وحدة الوجود[1]

هاتان شهادتان ليهوديين من كبار رجالهم لم يزعما قط أن أدب اليهود أو حكمتهم دنت من حكمة الإغريق أو أدبهم ، ولم يدعيا أنه كان لأدب اليهود ودينهم أثر في تاريخ الحضارة لا يقل عن أثر الإغريق

أما ما استند إليه الأستاذ وهو درس العلاقة بين اليهودية والمسيحية والإسلام فهذا ما لا دخل له في موضوع الحضارة من حيث هي إنتاج إنساني قائم بذاته ؛ إذ أن العقائد في جوهرها تمس الباطن ، كما تمس الحضارة من حيث الحالة النفسية للمتعبد ، ودرس الحالة النفسية من اختصاص علم النفس ، وهو فرع من البحوث الإنسانية التي لا دخل لليهود فيها . وإن اتفاق الإسلام واليهودية في بعض التعاليم والآداب كالختان والصوم والطهارة من الجنابة ... الخ ؛ فهذه أمور كان التشابه فيها لتشابه ولتسلسل الشعبين من الجنس السامي ، مع اختلافهما الجوهري في العقلية والنظر إلى الحياة والمثل العليا ، ولا إخال صديقي يرى إلى إثبات محاولة انتحال الإسلام عن اليهودية

والإصلاح الديني عند المسيحيين وهو أبرز ما في تاريخهم الكنسي قام به رجل ألماني اسمه مارتن لوتر ، وآخر سويسري اسمه كلفن ، وثالث من أهل سانت جال بسويسرا اسمه تسوينجلي Zwingli ، وليس واحد من هؤلاء من اليهود .

وحتى حركة حرية الفكر التي ظهرت في أوربا قبل الثورة الفرنسية فهي لرجال أمثال فولتير وروسو وديدرو ومونتسكيو ، وفي انجلترا أمثال دودويل وتيندل وكوليتر وكلهم كما يعرف الأستاذ مسيحيون لا علاقة لهم باليهود .

(١) Baedekers, Palestine und Syrien, Leipzig 1912

(٢) A. Spaltz, Der Ornamentstil, Leipzig 1912, Seite 39-41 u. Tafel 14.

(٣) Lübke-Pernice, Die Kunst des Altertums, Esslingen 1914, Bd. 1 Seit 105.

(٤) Lübke, Grundriss der Kunst geschichte, Stuttgart 1887, Seite 58-67

(٥) Moses ben Maimonides, Le Guide des égarés. 1-3 Paris 1865-66

(٦) S. Munk, Mélanges de Philosophie juive et arabe renfermant des notices sur les principaux philosophes arabes et une esquisse historique de la philosophie chze les Juifs. Paris 1859.

(١) Freudenthal: Spinoza, sein Leben und seine Lehre, Stuttgart 1904

وإن كان لليهود أثر ملحوظ فى الدنيا الجديدة فهذا الأثر محصور فى الأعمال المالية والتجارية ، وهى مع قيمتها الاقتصادية لا تمت بصلة إلى الأدب أو الفلسفة أو الفن كما يمت أدب الإغريق وفلسفة الإغريق وفن الإغريق .

ولعلى لم أدرك تماماً قصد الدكتور من علاقة القوانين الغربية باليهود ؛ فغير خاف أن القوانين فى انجلترا مأخوذة فى أول أمرها من العرف الذى تواضع عليه الناس هناك ، وفى الدول اللاتينية أخذ فى لبه عن القانون الرومانى . أما فى العصر الحديث فهو عن الثورة الفرنسية والقانون الألمانى . وقانون روسيا لا يخرج عن التشريع الشيوعى . وفى البلاد الإسلامية عن الشريعة المحمدية وعن بعض الدول الأوربية كقانون بونابرت .

على أن هذا لا يمنع من أن نذكر أن لليهود أثراً فى التشريع الخاص بهم حيثما وجدوا ، فيما يتعلق بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والنسب .. الخ وطهارة المآكل وصحة الذبح ، غير ما جاء فى التوراة بسفر الخروج وأخبار الملوك .

وكتاب « تراث بنى إسرائيل » مكتوب فى عصرنا هذا لتمجيد اليهود ، فلم يكن إلا نوعاً من الدعاية لقضية معينة ؛ فكانت المبالغة فيه ظاهرة واضحة لمن يتعمق فى درسه .

٧ — أما أن أثر الإغريق وأثر اليهود مسألة اعتبارية ونسبية فهذا يخرج بنا عن حدود المقارنة العلمية التى يقوم الحكم فيها على الحالة الذاتية للشئ وليس على الحالة النفسية للباحث .

وخلاصة ما تقدم :

١ — أن الأركيولوجيا لا تفسر وحدها الماضى بما خلفه ، وليست مرجعنا الوحيد فى دراسة مدنيات الأمم التى اندثرت

٢ — أن تاريخ الفن لا يعنى بتوافر شئ من مبادئ الجمال فى الخلق الفنى

٣ — أن من المستحيل وجود شعب يزدهر الفن بين أفراده دون اشتراكه ، كما أنه من المستحيل أن يوجد شعب له أثر ملحوظ فى الأدب والفلسفة والعلم ولا يعرض للفنون الجميلة أبداً

٤ — أن بنتسنجر كان من اليهود حقاً وصدقاً

٥ — أن مراجع كتب تاريخ الفن لا تخلو من فصل أو فصول عقدت لتاريخ الفن عند اليهود

٦ — أن أثر اليهود بدينهم وأدبهم لا يدنو من أثر الإغريق فى الحضارة الإنسانية

٧ — عند المقارنة والموازنة — بين حضارتين — لا يكون للاعتبارية والنسبية المقام الأول فى البحث العلمى

ولما كان الاتجاه الذى رغب الأستاذ زكى محمد حسن إلباسه ثوب الحقيقة العلمية ، وهو الإقرار لليهود بفضل التأثير فى الحضارة الإنسانية بما لا يقل عن فضل الإغريق بأدبهم وحكمتهم وعلومهم وفنونهم يعد من أشد الاتجاهات العلمية خطورة ، ولا يجوز لباحث مثلى ومثله إبقاءه على هذه الحالة من الإيجاز والغموض ؛ فقد صحت عزيمة كاتب هذه السطور خدمة للعلم، على إفراد فصل قائم بذاته لتصفية هذه المسألة عندما يحين الوقت إن شاء الله .

أحمد موسى

ألقاب الشرف والتعظيم

عند العرب

للأب أنستاس ماري الكرملي

١ — توطئة

ضَرِيَ السوريون منذ برهةٍ ، باستعمال ألفاظ جديدة ، للتعظيم والتبجيل ، واستهجان كل كلمة دخيلة تدل على نظائر تلك المعاني . ولذا تجدهم اليوم ، لا يتخذون لقباً أو جلاء[1] يدل على أدب ، أو تكريم ، أو علم ، أو إدارة ، أو سياسة ، أو نبالة ، أو كل لفظ عليه طابعُ دخيلٍ ، فليس فيهم كاتب يتخذ في كلامه كلمة آغا ، ولا أفندي ، ولا بك . وأما مسيو . ومستر ، وسنيور ، وهر وضون ، فقد أصبحت في خبر كان . وكذلك لا تجد أثراً لماجستير وليسانسيه ودكتور وبروفسور . وقد نفَوْا من عبارتهم الكبتن والماجور والكولونل والجنرال هذا في الرجال . وكذلك نفوا كلامهم من ألقاب الإناث مثل : هانم ، وخانم ، وخاتون ، ومدموازيل ، ومدام ، ومس ، ومسز وليدي . والكلام هنا على ما يقال في الأجانب على اختلاف قومياتهم . وليس هناك خلاف في أنه إذا جرى الكلام على أبناء العرب من ذكور وأناث فيتخذ لقب السيد ، والسيدة ، والآنسة ، والكريمة ، والعقيلة ، إلى ما ضارع هذه المفردات

أما إنهم يحاولون إطلاق هذه القاعدة على الأجانب ، وعلى ما وضعه هؤلاء من الألقاب العلمية والسياسية والأدبية بشروط وامتحانات وأحكام ، فإنهم يحاولون القبض على حبال القمر ، أو على قبض الماء بأيديهم ؛ إذ لا حق لهم فيها ، ولا يوافقهم على تحكمهم هذا إلا كل أهوج ، خال من الوقوف على تقدم علوم العصر ومصطلحاته وآدبه ، واتفاق جميع الأقوام على اتخاذه ، لأنها أصبحت من أوضاع الأقوام جميعها ، ومن مشتركاتهم فيها ومن حق الجميع وممتلكاتهم لها

ومن مضحكات أوضاعهم أنهم أخذوا يستعملون (العليم) و (الحكيم) في مكان (الدكتور) . وجهلوا أن هذا اللقب وأمثاله بمنزلة الأعلام ، أي أعلام الألقاب . والاعلام تروى ، أو ينطق بها على علاتها ، ولا يحق لأحد أن يبدلها بغيرها ، أو يصلحها ، أو يحرر فيها أي تحرير ، كبيراً كان أم صغيراً . فكما أن أحمد غير حامد ، وهذا غير محمود ، ومحمود غير محمد ، وهذا غير حماد ، وحماد غير حميد ، وإن كان الأصل واحداً ؛ فكذلك ألقاب الآداب لا يبدل بعضها ببعض ، ولا يقوم اللفظ الواحد مقام اللفظ الآخر ؛ فـ (المسيو) مثلاً يدل على أن المتكلم عليه رجل فرنسي ، و (المستر) على أنه إنكليزي ، و (السنيور) على أنه إيطالي ، و (الهر) على أنه ألماني ، و (الضون) على أنه أسباني . وفي كل ذلك من تسهيل معرفة قومية الرجل عند ذكر لقبه مالا تجده في قولك : السيد فلان . إذ هذه الكلمة تدل على أن المدلول عليه هو من أبناء الناطقين بالضاد ؛ بل يدل عند بعضهم على أنه من صلب النبي العربي . فأين هذا الحرف من الحروف التي صردنا لك منها أمثلة ؟ إن السوريين يجورون على الأمم ، ولا يجارون السلف في أعمالهم منذ القدم

٢ — ألقاب رؤساء الممالك :

اتصل السلف مع تمادي الزمن بأقوام مختلفة وبدول شتى ، وعرفوا ألقابهم مع ما فيها من الغرابة ، ولم ينقلوها إلى معانيها في العربية ، بل حافظوا عليها أعظم المحافظة . ونحن ننقلها لك من كتاب الآثار الباقية لأبي الريحان ، وهي هذه (عن النسخة المطبوعة في أوربة) :

أنواع الملوك	الألقاب الواقعة على أشخاص تلك الأنواع
١ ـ ملوك الفرس الساسانية	شاهنشاه وكسرى
٢ ـ « الروم	باسلي وهو قيصر
٣ ـ « الأسكندرية	بطلميوس
٤ ـ « اليمن	تبّع
٥ ـ « الترك الخزر والتغزغز	خاقان
٦ ـ « الترك الغُزّية	حنونه
٧ ـ « الصين	بغبور [أو فغفور]
٨ ـ « الهند	بلهرا
٩ ـ « قنُّوج	رابى
١٠ ـ « الحبشة	النجاشي
١١ ـ « النوبة	كابيل

(١) الجلاء : ما يخاطب به الرجل من الأسماء والألقاب الحسنة فيعظم به

أنواع الملوك	الألقاب الواقعة على أشخاص تلك الأنواع
١٢ ـ ملوك جزائر البحر الشرق	مهراج
١٣ ـ « جبال طبرستان	إصفهبذ
١٤ ـ « دنباوند	مصمغان
١٥ ـ « غرجستان	شار
١٦ ـ « سرخس	زاذويه
١٧ ـ « نسا وابيورد	بهمنه
١٨ ـ « كش	نيدون
١٩ ـ « فرغانة	إخشيد
٢٠ ـ « أشروسنة	افشين
٢١ ـ « الشاش	تدن
٢٢ ـ « مرو	ماهويه
٢٣ ـ « نيسابور	كفبار
٢٤ ـ « سمرقند	طرخون
٢٥ ـ « السرير	الحجاج
٢٦ ـ « دهستان	صول
٢٧ ـ « جرجان	أناهبذ
٢٨ ـ « الصقالبة	قبّار
٢٩ ـ « السريانيين	نمروذ
٣٠ ـ « القبط	فرعون
٣١ ـ « باميان	شير باميان
٣٢ ـ « مصر	العزيز
٣٣ ـ « كابل	كابل شاه
٣٤ ـ « الترمذ	ترمذ شاه
٣٥ ـ « خوارزم	خوارزم شاه
٣٦ ـ « شروان	شروان شاه
٣٧ ـ ملوك بخارا	بخار خداه
٣٨ ـ « كوزكانان	كوزكان خداه

وكل ما جاء هنا يتعلق بالشرق الأدنى أو الشرق الأوسط، ولم يتعرض المؤلف لألقاب أهل الغرب، مع أنها وردت في كتب التاريخ، لا سيما حين اتصل العرب بأهل الغرب في أيام الحروب الصليبية وبالتجارات والمراجعات التي جرت في عهد العباسيين والفاطميين والأندلسيين من ذلك:

٣ — الباب

٤ — الأنبراذور أو الأنبراطور أو الأنبرور

٥ — البطرك

جاء في مُقدمة ابن خلدون[1] في آخر الفصل الثالث والثلاثين ما هذا نقله بحروفه:

واختص اسم البابا[2] ببطرك رومة لهذا العهد، ولا تسمى اليعاقبة بطركهم بهذا الإسم. وضبط هذه اللفظة بباءين موحدتين من أسفل والنطق بها مفخمة والثانية مشددة. ومن مذاهب البابا[3] عند الإفرنجة، أنه يحضّهم على الانقياد لملك واحد، يرجعون إليه في اختلافهم واجتماعهم، تحرجاً من افتراق الكلمة، ويتحرى به العصبية التي لا فوقها منهم، لتكون يده عالية على جميعهم، ويسمونه الأنبرذور[4]، وحرفه الوسط بين الدال والظاء المعجمتين. ومباشره يضع التاج على رأسه للتبرك، فيسمى المتوّج، ولعله معنى لفظة الأنبرذور. وهذا ملخص ما أوردناه من شرح هذين الإسمين الذين هما البابا (كذا) والكوهن»

ونحن نورد هنا أيضاً الحاشية التي جاءت على كلمة الأمبرذور. قال الناشر: «المشهور قديماً إيمبراطور، بالطاء المهملة، والفرنسيس تقول: إيمبرور ومعناها عندهم ملك الملوك» اﻫ.

ولنا هنا عدة ملاحظات، منها: ١ — أن المؤلف كتب الباپ ولم يكتب البابا. ولما لم يكن عنده يومئذ الباء المنقطة بثلاث، ضبطها بالكلام لا بالقلم.

٢ — إن صريح كلامه لتقييد الكلمة أنها بباء مفخمة والثانية مشددة ولم يذكر أنها تختم بياء وألف بل بباء مشددة،

(١) في ص ٢٣٤ من نسخة بيروت الأولى المطبوعة بالمطبعة الأدبية في بيروت سنة ١٨٧٩، ثم طبعت ثانية سنة ١٨٨٦ وثالثة بالشكل الكامل سنة ١٩٠٠، وهي النسخة التي صورت تصويراً شمسيا ثم طبعت على الحجر بعناية مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى في مصر. ولم يشر إلى النسخة المنسوخة عنه، بل زاد الطين بلة أن قال: «روجعت هذه الطبعة وقوبلت على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء». ثم زاد هذه البلة بلة أخرى أن قال: «حقوق الطبع محفوظة».

(٢) و (٣) يؤخذ من سياق الكلام بعد ذلك أن الكلمة هي باپ، بباء منقطة بثلاث وبلا ألف في الآخر، والذي زادها هو الناشر الأول الذي طبع الكتاب في مصر أو غير مصر

(٤) في النسخة المطبوعة في باريس، وهي أضبط النسخ وأصحها وأوثقها أمانة: الأنبراطوز» (في ١ : ٤٢٢)

فكان يجب أن تكتب هكذا (الباپّ) لا (البابا) ونحن نظن أن رسم الكلمة البابا من الناسخ لا من المؤلف بما أن نص المؤلف واضح هو بياء مفخمة مشددة . وأول من نقلها بهذه الصورة ابن رُسته ، وقد وضع كتابه فى آخر المائة الثالثة للهجرة ، أى فى نحو سنة ٩٠٨ للميلاد كما سترى

٣ — أما كتابة الانبرذور فتكاد تكون صحيحة ، لأنها فى لغة اللاتين Imperator ، ومعناها : الآمر . وكان أصل وضعه لرئيس الجيش ، أى القائد العام له ، ثم فى أيام كيكرون جعل لقباً للقائد الظافر ، ثم للقنصل وفى الآخر الملك الأكبر ؛ فانتقل بعدذلك إلى كل ملك كبير ؛ فهو كقولك ملك الملوك ، أو كشاهنشاهان عند الفرس . إذن ليس معناه المتوّج ولا معناه ملك الملوك

٤ — إن كتابة الامبراطور بهذا الرسم كما يرسمه المعاصرون لا يوافق القواعد العربية ، لأنه لا يُرى فى الكلم الضادية من عربية ومعربة ، فيها الميم ساكنة ، ويليها باء متحركة ، فإذا وقع مثل ذلك رُسمت الميم نوناً . ولهذا يجب أن تكتب (الانبراطور) بنون

٥ — جرى العرب على كتابة الكلمة (أنبرور) بهذا الرسم . عند اتصالهم بالألمان والفرنسيين فى نحو أواخر المائة الثانية عشرة وأوائل المائة الثالثة عشرة من تاريخ الميلاد ، أو بعبارة أخرى فى أواخر المائة السادسة وأوائل المائة السابعة للهجرة . فقد قال ابن خلكان فى ترجمة أبى العباس أحمد عبد السيد الملقب صلاح الدين : « وعند وصول الأنبرور ، صاحب صقلية إلى ساحل الشام فى سنة ٦٢٦ هـ [١٢٢٨ م] بعث الملك الكامل الصلاح إليه رسولاً » .

وقال فى ترجمة أبى طاهر يحيى بن تميم : « ولما هلك غنيمة (بن زُجار . كذا . والصواب بن رُجار براء مهملة) . ملكت ابنتهُ ، وهى أم الأنبرور ملك ألمانيا فى زماننا . ثم هلكت أم الأنبرور » ا هـ

وجاء فى تقويم البلدان لأبى الفداء : « وسلطانها (سلطان المانية) هو المعروف بالأنبرطور ومعناه ملك الملوك والعامة تقول الأنبرُوز » ا هـ . وفى كتاب العبادين فى كتاب ألفُنْس بن سَانشَس إلى الخليفة المعتمد الإنبيطور

فهذه عشر لغات فى تعريب كلمة واحدة ، أصلها اللاتينى Imperator ، فقيل فيها : إنبيطور ، إنبرذور ، إنبرظور ، إنبراطور ، إنبرادور ، إنبرطور ، إنبرور . وقال فيها بعض المعاصرين خطأ : إمبراطور ، إءبراطور ، إءبرور . ومن اللازم على المعاصرين أن يلاحظوا كيف أن الأقدمين باختلاف بلدانهم وعصورهم كتبوها بألف ونون ، وليس أبداً بألف وميم ، لأنهم عرب صميم والعرب لا تخالف قواعد سلفهم أبداً ، وذلك سليقةً لا تطبُّعاً !

(له صلة)

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

صفحة من كتاب

من جوف الليـــل

للأستاذ شكري فيصل

— ١ —

أرقت في هذه الساعة فما استطعت أن أنام ... لقد حاولت أن أغمض عينيّ، وأن أستسلم لهذه الرؤى البارعة، وتلك الأحلام الرائعة، وذاك الجمال الذي أهواه، لعلي أنام على ذكراه وأغفى على هدهدته، وأجد اللذة في مداعبة خياله، والأنس بحبّاً له، ولكني لم أفد شيئاً من هذه المحاولة. إن النوم ليعصيني كأن بيني وبينه عداء؛ وما كنت لأعادي إنساناً أو أغضب رجلاً، أو أسيء إلى مخلوق، لأن قسوة الحياة علمتني منذ كنت طفلاً منكمشاً في زاوية المدرسة، وحيداً في أطراف الطريق، معتزلاً في ركن البيت، ألا أقسو على أحد، وأن أنشد الخير لهؤلاء الناس جميعاً؛ فليس أحلى من الخير، ولا أحسن منه استثارة للعاطفة، وإرضاء للشعور الغاضب المضطرب

— ٢ —

لِمَ يجفوني النوم؟ ولِمَ يباعد بيني وبين أحلامي الهائمة وقصوري الناعمة في جنات الخيال؟ ولِمَ يريدني على أن أساهر النجم وأراقب الكواكب وأشهد صفحة السماء بعينيّ، بينا تتطلع إلى السماء بألف عين فأخافها وأخشاها، وأرتعد منها، وأفر إلى أعماق السرير، وأستر وجهي بهذا الغطاء الكثيف؛ فلا أنجو من الرعب ولا أخلص من الارتعاد، وتظل هذه الأعين تطل علي، وتلحق بي، وتتعثر في ناظري، وترمقني بشعاعاتها النافذات؟!

أي شيء أصبت من إثم حتى يجردني الله من لباس الليل، فلا أرتع فيه، ولا أغيب في آفاقه السعيدة أنسى هموم اليوم ومتاعب النهار، وأخبار السوء؛ ولِمَ تتوافد على الذكريات أليمة حزينة، وتطوف في خاطري كثيبة سوداء، وتنشر في نفسي ليلاً آخر بكل سواده القاتم، وجلاله القائم، ونجومه المتلفتات؟!

— ٣ —

لم تعد لي قوة أحتمل بها هذه الوحشة ... لقد كنت ألقى أهوال النهار فأفر منها إلى الليل، ولكن الليل يطاردني عنه، وينفيني منه، ويريد أن يحول بيني وبينه. لقد وسع كل شيء: كل الخيرين والأبرار، والآثمين والأشرار، والغاصبين والأخيار؛ ولكنه ضاق عني، وقذف بي إلى مغارة هائلة لا أدري أين أستقر فيها ...

رحمة بالضعفاء يا ليل! إن الذين تزدريهم أعينك الليلة، ويتجافى عنهم مداك الواسع، وسلطانك الممتد ... ليس لهم ما يستريحون إليه إلا هذه الساعات يقتطعونها من عمر الزمن، ويختلسونها من حياة الدهر، ويسرقونها سرقة الجائع المتهالك للكسرة الجافة واللقمة الشاردة لينعموا بها ساعة في نوم عميق ينسون فيه أنفسهم، وهذه الآفاق التي تحيط بهم، وتلك الذكريات التي تنتابهم، وحادثات الألم التي تمسك مسامعهم فلا يملكون بعدها الحركة والشعور، فهلا رفقت بهم أيها الليل؛ هلا ضممتهم في نعيمك الممتع، ولففتهم بسكونك المتراخي؛ وتركتهم إلى هذا الهدوء الذي ينشدونه، وهذا الصفاء الذي يرمقونه، وتلك الفترات التي يتطلعون إليها ليجددوا بعد القوة على احتمال الأسى، ولقاء الشرور

— ٤ —

إني لأخشى هذا الفضاء الهائل الذي أجدني فيه، ليس من حولي شيء، ولا إلى جانبي إنسان، لقد ذعرت حقاً حين مددت يدي هنا وهنالك، وأجلت بصري أمام ووراء، فلم ألق هذه الإنسانة البرة الحنون التي رعت طفولتي بشقائها، وغذت يفاعتي بدموعها، ونشأت صباي من دم قلبها ... لقد أدركت ... إنها بعيدة عني، وأن بيني وبينها آماداً ومسافات يرعاها الله، ويكلؤها الرحمن، فمن لي باليد التي تطوق عنقي، من لي يفيض عليّ الجرأة، ويبعث في القوة، ويطرد عني خوف الليل؟

إن فضاء كبيراً حولي ... وإن فضاء أكبر في نفسي ... وليس في وسعي أن أملأه بما أرى في النهار، وأسمع في الطريق، وأحس في العمل، لأني لا أرى شيئاً، ولا أسمع صوتاً، ولا أحس حركة. لقد ابتلع الليل كل شيء، فطواه في ثناياه، وضمه

إلى حشاه الواسع ... إلا أنا ... إلا أنا سهران لأنه يفيق عنى ، فأظل مشرداً فى كهوف مرعبة من الشكوك والأحزان : شأن هؤلاء المشردين فى أطراف الأحياء ، وأرصفة الشوارع ، وحافات المقاهى فى النهار ، ولكنى أنا مشرد ليل ، وليس لهذا الليل ندى آوى إليه ، أو صديق أسلو معه ، أو شارع أجوس خلاله ... ليس فيه إلا الفراغ المرعب ، وهذه السهام المسددة التى تبعثها النجوم فى نفسى

— ٥ —

أخذت أتقلب فى أطراف السرير وألوذ بجوانبه ، ولكن الحركة لم تكن لتنجو بى من هذا الذى أشقى به ، وأطراف السرير وجوانبه قلقة حائرة . لقد نبا بى كل شىء : حتى هذا الغطاء الذى آلفه فى الليل وفى طرق النهار ... إنه ليضطرب فوق جسمى كأنما أنا أرتعد ، وما أدرى سر هذه الرعدات الخانقة وما أعرف متى أخلص منها ... إن القمر الدائر ليتراءى لى ، وإنى لأحاول أن أفزع إليه ... ولكن المسكين لا يقوى على شىء . لقد أهزله الطواف حول الأرض مدى عشرين يوماً ونيفاً فلم يُبق منه إلا الجسم الناحل والعظم المقوس ، ولم يعد له ذلك البريق الذى كان يفيض منه ، ولا ذاك الألق الذى ينساب من أطرافه ، ولا تلك الأضواء التى كانت تغمر الأرض ، وتنير حواشى السماء ، وتطرد ظلمات النفوس . لقد أضحى كابى النظرات ، خامد الحسن ، متهافت القوى ، وأصبح جمرة هامدة بعد أن كان شعلة متقدة . إن طبقة من الرماد الأزرق تحاول أن تطغى عليه . لقد امتدت إليه قمعات فيه كما يعمل السل ؛ ونفذت فى طرف منه فتقبلها بضحكته الكاملة وبسمته المستديرة وغمرها بألقه الحنون ، ولكنها كانت من طباع الناس : فيها لؤم وغدر ، وفيها إثم وشر فلم تزعه ، وإنما أخذت تنفث سمومها فيه . لقد بترت أوصاله ، وإنها لتسرى الآن إلى أحشائه تلتهمها . لم يبق بينها وبين قلبه شىء . إنها لتكاد تلتهم هذا القلب الكبير الذى وسع الأرض وطاف حولها ، لا تكبر شيخوخته ، ولا تحترم مشيبه ولا تذكر إحسانه إليها ... هاهى الماكرة تسرق قلبه وتأتى عليه ... لقد أضحى القمر المسكين ذؤابة بيضاء منحنية لا تملك أن تتماسك ، ولا تستطيع أن تشتد ، وستلحق هذه الانحناءة النادية بالقلب الكبير : لتجدد معه فى العالم الآخر عهود الصفاء والضياء والنور

— ٦ —

لقد نهضت أمشى ... ولكنى لا أملك أين أضع قدمى مخافة أن أزلق به ... إنى لأحبو كالطفل ، أتلمس الطريق بكل أطرافى وحواسى . لقد عدت طفلاً لا يعرف كيف يسير ، فهو محتاج إلى من يمسك بيده ويأخذ بساعده ويمضى به ، فهلّا أخذت بساعدى — أيها الليل — ومضيت بى كما تمضى بكل هؤلاء الناس إلى أحبتهم يناشدونهم الوصل ، ويعتبون عليهم القطيعة ، ويلومون منهم هذا الإهمال ، وإلى أهلهم البعيدين منهم المتغربين عنهم : يبثونهم الحنين ، ويهدونهم التحيات ، ويطبعون على جبينهم قبلة الحب الذى يملأ كل جارحة ويطغى على كل شىء ، وإلى معاهد الصبا يطوّفون فيها ويسمون فى جنباتها ويرددون فى آفاقها نشيد المرح والسعادة ، وإلى أرض الوطن يسألونها ما ذا حل بها وأى شىء أصابها ، وما ذا فيها من مكر الدهاة ومكاره الدنيا وعبث الزمان ؟ ؟ وهل من بلاء — لا كان — يلقاه أبناؤها الغر : الذين يحملون فوق كل ما يحمل أبناء العالم من واجبات المدرسة والبيت ، وحقوق المدن والريف ، وأهداف الوطن والمستقبل ، وغايات العرب والإسلام ؟ ؟

— ٧ —

لم يعد فى وسعى شىء — أيها الليل — لقد سددت النافذة وأقفلت الباب ودفنت وجهى فى الوسادة ، ودسست كل أطرافى فى أعماق السرير كى يتحصن ... ولكنك لم تشأ أن ترفق بى : إن الباب ليطرق طرقاً عنيفاً ، وإن النافذة لتهتز هزة شديدة ، وإن كل ما حولى ليتحرك ... ولكنى سأجمع كل قوتى ، وستتركنى أنت هنا فى هذا الأسر الوحش ... غير أن النهار سيضيء وسيحسن إلىّ مرة ، لأنه يعرف أنه أساء إلى مرات ، وسأنهض على قدمىّ وأفتح ناظرى وأرى النور ...

— ٨ —

إنّ غبش الفجر ليلمع فى جبين الليل ، وإن همسات خافتة من أضوائه لتتراءى لى ... هذا السواد يهزل ويهزل ، إنه ليمضى فى طرف الأفق مطرقاً مستحيياً ، ولكنى سأغفر له هذه الإساءة لأنى أحب هدوءه وأعشق صفاءه وأعيش فى أحلامه ...

« القاهرة » شكرى فيصل

المرحوم محمد مسعود بك

للأستاذ خليل مطران بك

مضَوا تَباعًا وهذا يوم مسعود   هل في الكِنانة قلبٌ غيرُ مكمود
نوابغٌ ملأوا بالفخر عصرَهمُ   وجددوا المجد فيه كلَّ تجديد
عادت به لفحول الشعر دُولتُهم   ودولةٌ للنحارير المجاويد
الكاتب الفذُّ قد ألقى يراعتَه
بعد اصطحاب طويل العهد محمود
بحرٌ من الأدب الزخّارِ مُصْطَفِقٌ   بِصَدرِ أَرْوَعَ فيه حِشمة الرُّود
تراه في وجهِ مُسْتحيٍ وتَخبُرُه   فلست تَخبُرُ غيرَ النبل والجود
تبدي ظواهره ما في سرائره   وقد تشحُّ نفوسٌ في التجاليد
يحيا وَدُودًا ومودودًا كأحسنِ ما
يرجو وهل مِن وَدُودٍ غيرُ مودود
ولم يكن مع لين الطبع واهِيَةً   ولم يكن بِعداجٍ أو بِرِعْدِيد
وربما صال ذَوْدًا عن حقيقته
فجال في الشوط جولاتِ الصناديد
جارى صِحافةَ مصر منذ نشأتها   وعِبْئُها مرهِقٌ في نضرة العود
بالعزم والحزم يستوفى مطالبها   وهل بغيرهما إدراك منشود
حتى إذا آب من أقطاب نهضتها   وسدَّد الرأيَ فيها كل تسديد
أجرى بما يخصب الألباب أنهرها
كالنيل بالخصب يجرى في الأخاديد
وعلَّم الطير في أفنان روضتها   شتى الأفانين من شَدْوٍ وتغريد
إن الصحافة موسوعات معرفة   يزود العقل منها خير تزويد
تزيد أخبارها بالناس خبرته   حتى تُقَوِّمَ منه كل تأويد
مسعود مَهَّدَ في مِصر السبيلَ لها   فحاز فضلين من سبق وتمهيد
ثم انتحى مُرْصِداً للعلم همته   متابعاً كل مجهود بمجهود
يعى معارف ألواناً ويخرجها   لفظاً ومعنى بإتقان وتجويد
فمن تآليفَ لا تُحصَى فوائدها   محدودة ومداها غير محدود
ومن رسائل في فن وفى لغة   سيقت لإقرار رأى أو لتفنيد
ومن مباحث في التاريخ شائقة   وفى البحار وفى الأمصار والبيد
وفى صفات بنى الدنيا وما اصطلحوا
عليه في عهدهم من غير معهود
وفى عوالم أفلاك تحيط بنا   ما بين محتجب منها ومرصود
هديةٌ وهُدًى منه لأمته   وموطنٍ بعد وجه الله معبود
مسعود يبكيك أبناء بررت بهم   فنشئوا نشأة الغر الأماجيد
يبكيك قوم مشوا والحزن يشملهم
في مشهد لك يوم البين مشهود
يبكيك إخوان صدق هاهنا احتشدوا
ينوهون بفضل غير مجحود
يمضى الزمان وتبقى في ضمائرهم   خليق ذكرى بتكريم وتخليد

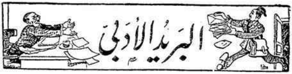
خليل مطران

غريب

للأديب محمد قطب

غريب أنا في ذلك الكون كله   على سعة في الكون توحى بإيناس
غريب بنفسى عن نفوس كثيرة
غريب بفكرى عن دُنى ذلك الناس
وأحسب أنى تائه في غمارهم
كما ضل ومض في غمار الدجى القاسى
وما نلتقى في خفقة أو وشيجة   ولا فكرة عليا ولا طيف وسواس
وما بيننا من رابط غير أننا   نجوب معاً دنيا من الحالك الكاسى
ترى أينا أصفى ضميراً وعنصراً   ومن فيه صدق أو سلامة إحساس
لأحسب في دنياهمُ كل ضلة   وأحسبها دنيا شرور وأرجاس

لقد كنت قبل اليوم هيمان في الذرا   أحلق نشواناً إلى كل مرتاد
يفيض بنفسى الفن بشراً وغبطة   ويهتف في أذنىّ كالطائر الشادى
ويخلق في نفسي مُنًى عبقرية
ويلهمنى الإحساس كالكوكب الهادى
ويمنحنى صفو الحياة وذخرها   وأجمل ما يهفو له الناهل الصادى
فأشبع حبى للحياة نقية   ويسمو إلى خلد السماء فؤادى



فقر الأنبياء

ليس الفقر عيباً ، وإنما السكوت عن مقاومة الفقر هو العيب ، فنحن جميعاً مسئولون عن محاربة ما يحيط بنا من متاعب معنوية وحسية ، ومن واجبنا جميعاً ان نطمح فى الانتفاع بما فى الوجود من ثمرات ، على شرط أن ننال ما ننال عن طريق الجهاد المحمود

وقد سأل الأديب « ح . ع . مطر » عن فقر الأنبياء وما يدل عليه من معان على فرض أن الفقر يدل على ضعف الأخلاق الاجتماعية والمعاشية

وأجيب بأن الأنبياء رحبوا بالفقر طائعين ، لتقل شواغلهم الدنيوية فيستطيعوا القيام بفروض الهداية والتهذيب ، وليكون فى انصرافهم عما فى الدنيا من منافع قطعٌ لألسنة من يروق لهم اتهام الأنبياء بحب المال ، وهو اتهام يزعزع ثقة الجماهير ويروضها على التمرد والعصيان

والمعروف أن الناس فى كل أرض يتزيدون على الزعماء والمصلحين ويجعلون طلب الدنيا من أكبر العيوب ، فليس غريباً أن ينسلخ الأنبياء من المنافع الدنيوية ليصدوا من يعارضون باسم الغيرة على الأخلاق ؛ كأن الأخلاق تكره أن يتزود المصلحون بثروة الرزق الحلال !

وفى طلب السلامة من أذى السفهاء قال الرسول : « نحن معاشر الأنبياء لانورث . ما تركناه صدقة » أو كما قال ، فلست أملك الرجوع فى هذه اللحظة إلى نص الحديث

والعدل يوجب أن يكون ما يترك الأنبياء ميراثاً حلالاً لأبنائهم ، ولكن الحرص على قطع ألسنة المتزيدين هو الذى أوجب أن يحرم الأنبياء أبناءهم من ذلك الميراث ، وذلك ظلم جميل

ومن نحن حتى نرحب بالفقر كما رحب به الأنبياء ؟

أولئك رجال يأخذون زادهم من الإيمان واليقين قبل أن يأخذوه من الطعام والشراب ، فمن أنس فى نفسه القدرة على الظمأ والجوع لينقطع إلى مجاهدة النفس ومجاهدة الآثام الاجتماعية فهو أقرب منا جميعاً إلى التخلق بأخلاق الأنبياء

العصاميون

وقال قائل : كيف نتهم الفقراء بضعف الأخلاق الاجتماعية والمعاشية ، ومن بين الفقراء نبغ العصاميون ؟ وأجيب بأن العصاميين هم حجتى على أن الفقر داء له دواء . فالرجل العصامى يقيم الدليل على أن القوة الخلقية قد تقتلع ما يعترض طريق الرزق والمجد من حواجز وأسداد . والتاريخ يشهد بأن أكثر العظماء كانوا فى البداية فقراء ، فما تفسير هذا الذى يشهد به التاريخ ؟

إنما كان ذلك لأن الفقير الموهوب تقوى عزيمته بفضل الاعتماد على الله وعلى النفس ، ومَثَله فى ذلك مَثَل من يعيش بلا عصبية تحميه ، فهو يستعدّ للمقاومة فى كل وقت ، ومن ذلك الاستعداد يفوز بمناعة جسمية وروحية تصد عنه عدوان المعتدين

فالذين يعنّون الفقراء بأموال الأغنيـاء يقتلون بُذور العصامية من النفوس ، ويعدون الجيل المقبل لأمراض أخفها الاعتماد على الغير ، وهو بداية الخذلان

الإحسان إلى من يعجزون عن الارتزاق هو أوجب الواجبات ، وهو الشاهد على اتصافنا بالكرم والجود ، أما الإحسان إلى من يقدرون على الارتزاق فجريمة اجتماعية ، ولا يشجع على هذه الجريمة غير الكتّاب الذين يعيشون بفضل الرياء الاجتماعى

فأرقب هذا الناس فى دنيواته ! ... كما أرقب الأنعام تنساب فى الوادى
فيأخذنى رفق بهم فى ضلالهم ... يهيمون فى دنيا الظلام بلا حادى

ولكننى أقفرت يوماً من المنى ... وجئت إلى الظلماء غير مزود
فلفتنى الظلماء من كل جانب ... وبثت لىَ الأشواك فى كل مقصد
وما أرتوى من مورد ، أى مورد ... وما ألتقى إلا بدجوان أجرد
وطال هيامى فى الظلام بلا هدى ... فأجهدت من سير ممل مشرد
وأخلد قلبى للسكون وللكرى ... بليداً من الإحساس أى تبلد
فلما أفقت اليوم من ذلك الكرى ... تلمست حولى الكون علّىَ أهتدى
فألفيتنى فيـه غريباً مشرداً ... أهوّم فى واد من التيه سرمد

(معهد التربية) محمد قطب

وهو رياء له عواقب سود، فى الدنيا وفى الآخرة، والآخرة حق، ولو كره من يراءون الناس

الحب والبغض

أما الأديب الذى كتب من المنصورة خطاباً فى صفحات طوال عراض فمن حقه أن يبغضنى كيف شاء، فما أفكر فى الحب ولا فى البغض حين أحاور قرائى، وإنما أفكر فى الصدق، لأستطيع القول — ولو بينى وبين نفسى — بأنى لم أفكر أبداً فى مخادعة قومى، فالدنيا أصغر وأحقر من أن تروضنا بمغرياتها الأوائم على جلب منفعة وقتية يبغضها الصدق

وفى مجلة الرسالة كتّاب أعظم منى، فما الذى يمنع بعض الناس من غض النظر عما أكتب، وقد صح عند ذلك «البعض» أن مقالاتى فى الإصلاح الاجتماعى لم تصب هوًى من قلبه الرقيق ؟

أفلح الدكتور طه وأخفقت: أفلح لأنه دعا الحكومة إلى إنقاذ الفقراء، وأخفقت لأنى قلت باعتماد الفقراء على أنفسهم وعلى سواعدهم، فما تستطيع الحكومة أن تمين رجلاً لا يمين نفسه، ولا يستطيع المجتمع أن يحمى مخلوقاً يعجز عن حفظ مكانه بين طبقات المجتمع

أنا رجلٌ فقير يحارب الفقر فى كل وقت، وأنتظر من إخوانى الفقراء أن يعينونى على محاربة ذلك العدو البغيض، لأصبح ويصبحوا من المياسير بفضل الكسب الشريف

لا يهمنى أن يحبنى قرائى، فما يبكى على الحب غير النساء، وإنما يهمنى أن يكون ما أكتب صورة صادقة لما يعتلج فى صدرى من آراء وأهواء

الصدق هو الذى يرفع أدب اللغة العربية. وهو الذى يزيد فى ثقة الرجال بعضهم ببعض. أكرمنا الله جميعاً بنعمة الصدق وهدانا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه، فهو وحده الحبيب الذى تتشرف بحبه القلوب

زكى مبارك

الى الباحث الجليل (***)

السلام عليكم:

وبعد فقد جاء فى بحثكم الممتع فى العدد ٤٠٤ من الرسالة الغراء ما يلى:

(فى درة الغواص فى أوهام الخواص: ويقولون: بعثت إليه بغلام، وأرسلت إليه هدية، فيخطئون فيهما؛ لأن العرب تقول فيما يتصرف بنفسه: بعثته وأرسلته، كما قال تعالى: «لقد أرسلنا رسلنا» وتقول فيما يُحمل: بعثت به وأرسلت به، كما قال سبحانه إخباراً عن بلقيس: «وإنى مرسلة إليهم بهدية» فعقبتم على ذلك فى الحاشية بقولكم: (قلت: هل يرى الحريرىّ الريح والصيحة والحاصب مما يتصرف بنفسه؟ ففى الكتاب: «إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً»، «إنا أرسلنا عليهم حاصباً»، «إنا أرسلنا عليهم صيحة» ...)

قلت: الإرسال فى هذه الآيات الكريمة بمعنى التسليط، لا بمعنى التوجيه؛ فليس يقال فى مفعوله: (إنه مما يتصرف بنفسه، أولا يتصرف)، حتى يتفرغ عليه دخول الباء عليه أو عدم دخولها؛ إذ يمتنع أن يقال: سَلّط عليه بكذا

ومن أمثلة الإرسال بمعنى التسليط قول الأساس: أرسل كلبه وصقره على الصيد، أرسل الله عليهم العذاب

وإكمالاً للبحث نورد ما جاء فى (التاج) قال: (والإرسال التسليط، وبه فُسّر قوله تعالى: «إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا»، أى سُلّطوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم. والإرسال أيضاً التوجيه، وبه فسر إرسال الله عز وجل أنبياءه عليهم السلام)

هذا ما عنّ لى أعرضه على الأستاذ المحقق (ا. ع)

وفاة الأستاذ محمود مصطفى

استأثر الله فى الأسبوع الماضى بالأستاذ «محمود مصطفى» أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية؛ وقد كان رحمه الله من أصحاب الملكات القوية فى الأدب واللغة. تخرج فى دار العلوم ثم اشتغل بالتعليم فى المدارس الأهلية والأميرية بقية شبابه الأول، ثم اختير لتدريس الأدب فى كلية اللغة فقسم حياته العاملة بين التعليم والتأليف حتى زود المكتبة العربية بطائفة من الكتب النافعة فى تاريخ الأدب والعروض. وقد قال الأديب البر محمد عبد المنعم خفاجى إن للفقيد سفرين جليلين فى الأدب المصرى منذ الفتح العربى إلى الآن يقعان فى ألف صفحة، وقد عكف فى آخر حياته على إعدادهما للطبع حتى انتهى منهما قبل وفاته بأسبوع. رحمه الله رحمة واسعة وعوض الأدب والعربية منه خير العوض.

تأبين المرحوم محمد مسعود بك

اجتمعت في مسرح الحديقة في مساء الأربعاء الماضي جمهرة من أعيان الفضل وأقطاب الأدب ورجال الصحافة للاحتفال بتأبين العالم البحاثة المرحوم « محمد مسعود بك » . فألقى كلمة الافتتاح معالي الأستاذ محمد علي علوبة باشا ؛ ثم تتابع الخطباء والشعراء فجلوا مواهب الفقيد وآثاره في الصحافة والعلم والخلق والأدب والوطنية والترجمة . وكان الشعراء على الأخص قد احتفلوا لما قالوا فجاءت قصائدهم من محكم الشعر وجيده . وقد نشرنا منها في هذا العدد قصيدة الشاعر الكبير خليل مطران بك، وسنختار في العدد المقبل فرائد من قصيدتي الأستاذين محمد مصطفى الماحي ومحمد الأسمر لأنهما نشرتا بالأهرام . وقد كانت الكلمة البليغة التي ألقاها الأستاذ يحيى مسعود نجل الفقيد شكراً جميلاً للمحتفلين وتحية برة لوالده . أجمل الله عزاءه وعزاء الوطن في الراحل الكريم

حول بشر بن عوانة

كانت (المكشوف) قد ذكرت في بعض أعدادها أن الأستاذ بطرس البستاني أول من نفى شخصية بشر بن عوانة في الجزء الثاني من كتابه (أدباء العرب) فرأت (الرسالة) من واجبها أن تنبه إلى أنها أشارت إلى هذه الأسطورة في يناير سنة ١٩٣٥ . ويظهر من العدد ٢٩٦ من المكشوف أنها نشرت هذا التنبيه ولاحظت عليه أن الجزء الثاني من (أدباء العرب) طبع للمرة الأولى في شباط سنة ١٩٣٤ فيكون أسبق

نقول يظهر لأننا لم نطلع على العدد الذي نشرت به هذه الملاحظة لاضطراب البريد بين البلدين في هذه الظروف . ولو كنا اطلعنا عليها لنشرناها فينتهي الأمر من جهة الزميلة ، ويبقى الرأي من جهتنا موقوفاً إلى أن نطلع على الطبعة الأولى من هذا الكتاب .

اكتشاف جديد لإطالة عمر الإنسان

جاء من هنتنجتون في ولاية فرجينيا الجنوبية أن الأستاذ ماليسوف أستاذ علم الكيمياء الحيوية في معهد الفنون والصناعات في بروكلين أعلن في اجتماع عقد في هنتنجتون أن الإنسان يستطيع أن يعيش ١٨٥ سنة بفضل المادة الجديدة المسماة « صوديوم ثيوسيانات » وقد اكتشف تأثيرها بعد تجارب عديدة.

وكان مما قاله أيضاً أنهم استطاعوا في التجارب التي أجروها في الأرانب أن يبطلوا فيها أعراض كبر السن . ثم قال إن مادة الكولسترول اللزجة التي تشبه الشمع ترسب كمية منها في الأوردة والشرايين ، وأن ثمة علاقة بين العمر وهذه الراسبة ، وأن هذه المادة الكيميائية الجديدة (الصوديوم ثيوسيانيت) توزع الكولسترول من غير أن تحدث ضرراً في الجسم .

حول وأد البنات عند العرب في الجاهلية

لجأ الأستاذ الصعيدي – وهو من علماء الأزهر الشريف – إلى المغالطة والتقول عليّ بما لم أقله ، بعد أن سُدّت أمامه السبل في تأييد ما يذهب إليه . فقد انقسم رده الأخير إلى نقطتين تمثل كلتاهما أقصى ما يمكن أن تصل إليه الجرأة في طمس الحقائق :

١ – يقول في النقطة الأولى : « وقد رأى الأستاذ علي عبد الواحد وافي أن حمل قوله تعالى « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » ، على معنى أنهم يجعلون لآلهتهم ما يشتهون لا يستقيم مع الآيات الأخرى كما ذكرت (أي كما ذكر الأستاذ الصعيدي) ، لأنها صريحة في أنهم كانوا يجعلون ذلك لأنفسهم لا لآلهتهم »(١)

وأنا لم أر مطلقاً هذا الرأي ، بل رأيت – عكسه تماماً – كما صرحت بذلك في كلمتي الأخيرة إذ قلت ما نصه : « على أن ما ذكرناه في المقال السابق بصدد الذكور (أي نسبتهم لآلهتهم) تحتمله آية النحل ، وخاصة لأن الضمير في الآية التي قبلها يرجع إلى الشركاء : « ويجعلون لما لا يعلمون (أي لآلهتهم التي لا علم لها لأنها جماد ... ا . هـ البيضاوي) نصيباً مما رزقناهم ، تالله لتسألن عما كنتم تفترون ، ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » فرجع الضمير في « لهم » إلى الشركاء المذكورين في الآية السابقة ليس محتملاً فحسب ، بل أرجح كثيراً في نظري من رجعه إلى المشركين ، لأن موضوع الحديث هو تقسيمهم المخلوقات بين الله

(١) عدد ٤٠٨ ص ٦٠١ العمود الثاني

وشركائهم لا بين الله وأنفسهم . ويزداد هذا المعنى تأييداً إذا ربطت هذه الآيات بآيات الأنعام : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ... وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ... » ويزداد هذا المعنى تأييداً كذلك إذا لاحظنا أنهم ما كانوا ينسبون خلق شيء لأنفسهم ، بل كان ذلك يتردد بين الله وآلهتهم »[1]

٢ — وذكر في النقطة الثانية ما نصه : « وكذلك رأى الأستاذ علي عبد الواحد وافي أن النصوص القرآنية صريحة في أن العرب كانوا يجعلون الملائكة بنات الله ، فلم يسعه إلا أن يعترف بهذا »[2] ؛ ويقصد بذلك — كما يفهم من سياق كلامه — أنني كنت أنكر هذه الحقيقة ، حتى كتب ما كتب ، فلم يسعني حيال قوة حجته إلا أن أعدل عن إنكارها وأعترف بها

مع أنني لم أنكر مطلقاً هذه الحقيقة ، بل اتخذت منها دليلاً على صحة ما ذهبت إليه ، كما صرحت بذلك في أول كلمة لي في هذا الموضوع ؛ إذ قلت ما نصه : « ولم يقف أمر اعتقادهم عند حدود العالم الطبيعي : عالم النبات والحيوان والإنسان ، بل جاوزه إلى عالم السماء ؛ فكانوا ينسبون لله تعالى من هذا العالم كل ما يعتقدون أنه من نوع الإناث . ومن أجل ذلك نسبوا إليه الملائكة لاعتقادهم أنهم من هذا النوع »[3]

ثم أوردت الآيات التي تؤيد هذا ومنها قوله تعالى : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ... » . « إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى » . « أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً ... » . « أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ، ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله ... »[4]

وأسأل الله أن يوفقنا إلى تحري الصدق في القول ويهيئ لنا من أمرنا رشداً

علي عبد الواحد وافي

(١) عدد ٤٠٦ ص ٥٤٠ العمود الثاني
(٢) عدد ٤٠٨ ص ٦٠١ العمود الثاني
(٣) العدد الممتاز ص ٢٦٦ العمود الثاني
(٤) العدد الممتاز ص ٢٦٧

في اللغة

من حق الأستاذ الكبير (ا . ع) عليّ ، وقد سلفت عندي يده ، وطوق رقبتي ثناؤه ، أن أشكره على حسن ظنه وجميل رأيه في قصيدتي التي نشرتها بالرسالة وجعلتها ذكرى لمولد النبي عليه السلام .

ولقد تقبلت نقده المؤدب المهذب بقبول حسن ، فقد والله لمحت من خلال سطوره أدب الناقد ، ورقة الأديب ، وتواضع العالم

وأنا مع الأستاذ الكبير أن كلمة « سمحاء » التي استعملتها في قصيدتي النبوية لم ترد في كتاب من اللغة مما بين أيدينا . ويظهر أنها دلفت إلينا فيما دلف من ألفاظ أخر . ومن الغريب أنها دائرة على شباة أقلام كثير من كتابنا المعتد بهم ؛ ولقد وجدت المرحوم « قاسم أمين » يستعملها أكثر من مرة في كتابه تحرير المرأة [راجع الطبعة الثانية من الكتاب ص ١٢٨ ، ١٦٢] .

على أن نفراً من محقق كتابنا الأعلام فطن إلى خطئها ، واستعمل في مكانها كلمة (السمح والسمحة) للمذكر والمؤنث ، وفقاً لما جاء في اللغة . وفي الحديث الشريف (بعثت بالحنيفية السمحة) .

وللأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات فضل إشاعة هذا الاستعمال الصحيح ؛ ولا زلت أذكر له مقاله البليغ (أمة التوحيد تتحد) في العدد ٣٨٤ من الرسالة ، ويشير فيه إلى الديمقراطية (السمحة) وكيف كان في مكنة العرب والمسلمين أن يميشوا في حماها بوجه من الوجوه .

أما قول الأستاذ الفاضل إن الفعل (تفيأ) يتعدى بالباء أو بنفسه كما صنع أبو تمام . ولا يتعدى باللام كما جاء في قصيدة « ميلاد نبي » فهو قول نقبله على العين والرأس ، ولكني أضيف إليه أن تعدية هذا الفعل باللام ليست خطأ ، فحروف الجر ينوب بعضها عن بعض . وقد عدى القرآن الكريم الفعل (يخيل) بإلى في قوله تعالى : (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) . ولكنه يَردُ كثيراً في الشعر العربي معدّى باللام كما لا يخفى على علم الأستاذ الكبير .

محمد عبد الغني حسن

الكتب

مجالس الغورى

للأستاذ محمد لطفى جمعة

نشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر منذ شهر للأستاذ النابغة الدكتور عبد الوهاب عزام كتاباً جميلاً يمثل فترة من تاريخ مصر فى آخر القرن التاسع الهجرى ، وطرفاً من القرن العاشر

وقد شاء أدبه وفنه ووفاؤه وثقافته أن يجعل من علاقته بقبة الغورى أثراً أدبياً ، لأنه رئيس جمعية الأخوة الإسلامية التى تعقد اجتماعها فى القبة مرة فى كل أسبوع ؛ فبحث ونقب فى مكاتب مصر والآستانة حتى اهتدى إلى ثلاثة آثار نفيسة للغورى : أولها ترجمة تركية للشاهنامة التى نشرها الدكتور منذ بضع سنين ؛ وثانيها هذا الكتاب للمجالس ؛ والثالث فى المجالس أيضاً ، ولكنه أصغر حجماً وأضيق نطاقاً ، وفيه تكرار لبعض المجالس الواردة فى الكتاب الكبير . ويحسن بى قبل أن أتكلم عن الكتاب أن أشكر الدكتور العالم الذى أثبت بنشر هذين الكتابين أن كانت لبعض سلاطين مصر ندوة أدبية هى أشبه الأشياء بمجمع العلوم والآداب ينضبط فيها الوقت بالدرجات ويحضرها لفيف من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء وتدور فيها الأحاديث حول المسائل العقلية والفقهية والتاريخية ، ولا تخلو من سمر رقيق وفكاهة ودعابة . وكان السلطان نفسه رأس الاجتماع ويتلقى الأسئلة ويجيب على بعضها عند ما يثبت عجز الحاضرين

وهذه الصورة الجميلة لسلطان صالح كريم شجاع من أجمل صور التاريخ وتجمل لآثار الغورى التى نشهدها ونراها أثراً حياً فى النفوس . كان الملك من رجال قايتباى ، ولم يكن ينظر إلى السلطنة ؛ ولكن تقواه وعلمه وإخلاصه أوصلته إليها فقابل ذلك بالشكر لله والإحسان إلى الفقراء . وكان زمنه زمناً رخواً فهناك قصة عن هجوم بعض السفن الحربية على شواطئ مصر وانصرافها بقراءة الفاتحة . وهناك صورة أخرى لأخلاق البدو والحضر فى الحجاز ومؤامرة بعض أمراء مكة مع هولاكو على جيوش الظاهر بيبرس ومحمله ، وتدبير مكيدة لقتل أمير المحمل المصرى . فدلت على أن تلك البلاد المقدسة ما زالت على وتيرة واحدة إلى أن أنقذها الله بالعهد السعودى

وكان السلطان إذا فقد ولده بالوفاة أو صديقاً عالماً أو وزيراً حكيماً كف عن الجلوس فى ندوته يومين أو ثلاثة ، وكان يجلس للناس ويسمع شكواهم ، ويوزع الصدقات عليهم بيده ، ويجد فى ذلك لذة عظمى ؛ وكان ينظم الشعر العربى والتركى ويضع الألغاز بهما ، ويداعب جلساءه بمعضلات الفقه . ولم يكن مقصراً فى الحرب فقد بنى قلاعاً فى جدة وفى ينبع ؛ ومن أسماء سلطان الحرمين ما يدل على أن كل حكومة شرقية طمعت فى أن يكون لها سلطة فى الحجاز

وقد اهتدى الدكتور الأستاذ عبد الوهاب عزام إلى نسخ مخطوطة فقارنها وصححها وطبعها ولقى فى ذلك مشقة يستحق عليها كل إعجاب وثناء . ومن محاسنه أنه أبقى الأسلوب على حالته ليدل على حقيقة ما كان يكتب . وللسلطان الغورى هنة واحدة وهو أن كرمه أفقره فاحتاج إلى أخذ ضرائب فادحة من الشعب ؛ ومن بين الذى وقع عليهم هذا الحيف سيدة مغنية معاصرة فرض عليها خمسة آلاف دينار فباعت حليها أو ما زعمت أنه كل ما تملك وحملت إليه ألف دينار وشفاعة القاضى فقبلها السلطان وأعفاها . وإذن كان فى القرن التاسع الهجرى فى القاهرة قيان يثرين من الغناء ويدخرن المال الكثير ولا يدفعن عنه زكاة حتى يأتى السلطان وينتزعه انتزاعاً . فما أشبه اليوم بالبارحة فيما عدا اغتصاب مال القيان . وأشكر اللجنة التى أعانت على نشر الكتاب والدكتور عزام على عمله الجليل

محمد لطفى جمعة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)